



خَفَائِشُ الظُّلَمِ



"سيد أحمد أمين"

دارُ تراثٍ للنشرِ الإلكتروني

خفافيش الخلاء

لسيد أحمد أمين



اسم الكتاب: خفافيش الظلام

اسم المؤلف: سيد أحمد أمين

تصميم الغلاف: أميرة محمود

التعبئة والتنسيق الداخلي: mimi ben

الجهة الناشرة: دار تراث للنشر الإلكتروني

المدير العام للدار: أميرة محمود فتحي

رئيس مجلس إدارة الدار: عبد الرحمان

محمد

دار تراث للنشر الإلكتروني



مقدمة

عندما يتحول الدم إلى ماء وتتحول المشاعر
 إلى هراء ، ويضحك الثعبان على ضحاياه في
 خفة وجفاء ، عندئذ يكون الوباء والشقاء من
 رموز الدول المريضة والشعوب الفقيرة ،
 فتتحول البسمات لعبرات والتفاؤل لتشاؤم
 والنجاح لسقوط ، وصعود الجبال للركوض في
 الوحل والتراب فينبعث من ابن الليل بنات
 الظلمات ، ولتتبدد أحلام الطفل وتتهشم فوق
 فوهة البركان فكل ابن أنثى مهما عاث في
 الأرض فساداً فلا بد من أن يذوق من نفس
 السم ولا يجد الترياق الذي سينقذه من سكرات
 الموت التي ستأتي على أحشائه فتقطعها وقلبه
 فتخلعه ، وستمطر رحمات الله فلا يجد له



5

جرعة رحمة ولا رشفة مغفرة ، فكما كنت

بعنفوانك تطغى

وتتكبر وتظلم ولا ترحم ، هكذا مصيرك وحظك

ومآلك.



الفصل الأول

تتغير الأشياء وتتلون الزهور حتى الحشرات
السامة والهوام يكتسون بجلد مختلف ومتغير
وألوان حمراء وخضراء ولون يشبه لون الدم
الخارج من بطن الدعسوقة ، ولكن الليل الذي
يأتي على الناس المهمومة لا يشبهه أي ليل ،
ونهار هؤلاء الناس الفرحى يأتي كأنه العيد
والأفراح ، ففرق بين حزين يضحك وبين
سعيد يبكي ، فلا تعجب من رجل يسقط من
أعلى السفح دون شعور بالألم ، فقد تلد الحبلى
ولا تشعر بألم المخاض ، فلا الناظر من أعلى
يستوي ومن ينظر من أسفل شتان ما بين
طفل بين والديه يضحك وطفل بين أحجار
الجوع واليتم والعراء يبكي ويصرخ ، فلم نعد



نرى سوى ما يضحكنا ونتشاءم ممن يذكرنا
ويبكينا ، حتى ضاع بيننا من ولدوا تحت خط
الفقر إما بالمرض أو من الجوع ، حتى
أمراض المناعة لم تتركهم بسبب قلة الغذاء
ونقص الطعام ، فلو أن كل من أكل السممان
والغزال وعشرات الأبقار في بطنه تذكر إخوته
في البشرية وما يعانونه لدمعت عينه ولان
قلبه واهتزت جوارحه بدلاً من تهتز بطنه
الكبيرة التي تمتلأ بعشرة أكيال من الجرامات
التي حشاها من الدهون المتراكمة والصلبة ،
فكم من راقصٍ على بطون الأطفال في
الصومال ونيجيريا وفلسطين وغيرها من
الدول المعدومة والتي لا موارد لها.



8

-نظر عادل في مذكراته التي يشاهدها كل حين
، فديونه قد كثرت وملأت ورقات المذكرة فهز
رأسه وقال لنفسه:

متى يا عادل ستسد هذه الديون الكثيرة؟

ومتى يأتي اليوم الذي تصبح فيه بلا دين أو
هم يوقظك من نومك أو يكدر عيشك؟

هل كل الناس تعيش كما تعيش أنت هكذا في
كدرٍ ونكد وهم؟

أم أنا الوحيد في هذه الدنيا الذي أعاني وأفكر
في مستقبلي وما هو آتٍ خلال الأيام القادمة ؛

أفق يا عادل من كبوك وسباتك ونومك ؛ هيا
افعل أي شيء لا تترك نفسك للدنيا تعبت بك
وتطرحك نحو اليمين تارة ونحو الشمال أخرى



؛ الأحرى بك أن تتفوق على ذاتك ونفسك
وتعلو فوقها لتعانق نجم الحياة وكوكب الأيام
والليالي لتصعد فوق الأعلام الوردية تلك التي
لا يصعد أعلاها سوى من كان بالأمس غنياً ؛
أتراني أصمد أمام عواصف التحديات التي
أثقلت كاهلنا من صعوبة في اتخاذ أي قرار؟
أو الماضي قدماً نحو أهدافٍ كان من العسير
عليّ تحقيقها أو حتى السير لها لأننا نعيش
داخل قفصٍ من فولاذٍ يحرسه بعض فئاتٍ ممن
رضوا بأن يكونوا ذلكم السوط في أيدي الجراد
، فنتنفس بلا هواء ينقي تلك الرئة التي
اسودت من غبار السلام العقيم الذي غاص في
أعماق الشعب الصبور فأكثر أدرانه ومآسيه ،
فلن تتعالى صيحات المرأة النحيبة فوق قمة



تلك السبخة النتنة حتى لا يسمعها هذا الجرد
الأبيض ذو الذيل الطويل ، فيقرض ملابسها
المزركشة بأنواع الحُلِيِّ ، فتبكي على تلك
الملابس وتسقط من أعلى السبخة في الوحل
وتتسخ ملابسها.

-ظل عادل داخل حجرته الضيقة يبحث في
الهاتف عن عمل هنا وهناك وظل يتصفح
عشرات المواقع لعله يجد مهنته التي لا يعمل
إلا هي ولا يحب سواها ، وبعد أيام من البحث
والتتقيب لا يجد مهنته ولكنه يجد عملاً آخر لم
يعتاد ، ولم يعمله من قبل ، فقد قرأ في هذا
الموقع عن وجود عمل في مكان ما في القاهرة
وبمرتب يعادل ما كان يأخذه من حرفته ، ألا
وهو حارس شخصي لدى امرأة ثرية تقطن في



مصر الجديدة وبالتحديد في "روكسي" هذا
المكان الذي عاش وسكن به أثرياء وأمراء
القرن التاسع عشر ورقصوا وثلثوا فيه ،
فعادل يمتاز بقوام ممشوق وطول فارع
وعضلات مفتولة وملامح أوروبية جذابة
وبمنطق حلو أخاذ ، فذهب عادل لهذا المكان
في الصباح ، أي في الساعة العاشرة قبل
الظهيرة وارتدى أبهى ملابس وأجملها لتليق
بهذه الوظيفة وأخرج ما معه من جنيهاً فلا
يجد سوى مائة جنيهاً في حقيبته ، فأخذهم
ومضي وفي الخارج قابله أحد جيرانه وقال له:

أين كنت يا عادل؟

إننا لم نراك منذ بضعة أيام

تنهد عادل وقال:



12

لقد كنت ملازم الفراش لأتني أعاني من وعكة

صحية هذه الأيام ، فرد عليه توفيق وهو

يداعب شعيرات شاربه وقال:

وأين ستذهب الآن؟

فرفع أهدابه عادل وهو يهز رأسه وقال في

صوت خافت:

سأذهب لأعمل مقابلة في عمل ما ، ثم رفع

حازم يده اليمنى وهو يهز رأسه وقال:

بالتوفيق إن شاء الله.

-مضي عادل وركب السيارة من أمام الشارع ،

وظل يحدث نفسه بعدما جلس على الكرسي

الذي في مؤخرة السيارة ، فقال لها:

ما هذا العمل الذي سأعمله وهل سأقبل أم لا؟



13

وأخذ يتذكر إخوته الذين يكبرونه ، فقد تركوا
له المنزل ورحلوا لبلاد الخليج وتركوا له ذلك
الأب الكبير وتلك الأم المريضة ليرعاها
ويعتني بهما رغم ما هو فيه من شتات وعدم
استقرار ، وقد تعدى العقد الأول من عمره ولم
يتزوج إلى الآن ، ولم يفكر في الزواج إطلاقاً ،
لأنه رأى طمس الحياة لمعالم شبابه الذي هوى
من فوق أمال الحاضر ليرتطم بجسور
المستقبل المتهاوي والذي صار كالأطلال
الخرابة وسط ركام من القبور التي عفا عليها
الزمن واندثرت تحت الماضي العفن ليظهر
منها هذا الحجر الصخري الذي كُتب عليه:
(هذا ما جناه علي أبي وما جنيته علي أحد)



تلك ينابيع الحكمة تتفجر من بين ثنايا رجل
عجوز عاش يلحق في عبث السنين ليستخرج
منها كلمات تدخل في أذن الشاب الذي يعاني
من ضعف الشخصية فيتلقاها بصدر واسع حتى
يشفى من مرضه المعنوي.

-نادي السائق على من في السيارة قائلاً:

من الذي لم يدفع الأجرة؟

فكر السؤال ثانية من الذي لم يعطني الأجرة؟

فنظر إلى عادل من بجوار ، وقال له:

الأجرة يا هندسة ، فنظر إليه عادل وكأنه كان

في غيبوبة وقال:

ها هي ، وأدخل يده في جعبته وأخرج النقود

منها ، وأعطاهما للسائق وهو يلتفت للطريق



يمنة ويسرة وبعد عدة ثواني نادى على

السائق قائلاً:

توقف هنا أنا سأنزل هنا ؛ وشق عادل التحام
الركاب ونزل من السيارة ثم أخرج الورقة التي
بها العنوان ونظر إليها وقال لنفسه:

هذا هو الشارع ولكن أين هذا المنزل وذاك
المكان؟

-نظر عادل في الطريق وفي وجوه الناس
فاستحسن أحدهم وسأله عن المنزل المكتوب
في الورقة ، فقال له هذا الرجل السمين:
إنه هناك بجانب محل البقالة الذي في اليسار،
فنظر عادل حوله وعبر الطريق للجانب الآخر
واتجه نحو هذا المنزل المكون من أربع طوابق
، ووقف عادل أمام المنزل ونظر أعلاه ليرى



اسماً للشركة التي يريد لها أو ما شابه ذلك
ولكنه لا يرى سوى لافتات لأطباء ومحامين
وشركات مختلفة ، فسأل هذا الرجل الجالس
على الباب عن العنوان وفي أي طابق هو ،
فقال له:

إنه في الطابق الثالث ، فصعد عادل لهذا
الطابق وقرع جرس الباب ففتح له الباب هذا
الفتى الأشقر ثم دخل عادل حيث بعض
المقاعد التي أعدت من أجلهم وقد جلس عليها
خمسة من الفتيان وكل واحد منهم يمتاز
بالطول والوسامة والبنية العضلية ويحملون
تلك الوريقات أمامهم ، فنظر عادل في
وجوههم وفي أجسادهم ونظر للأعلى حيث تلك
الكاميرات التي وضعت في سماء المكان ليروا



من يأتي ومن يجلس ويراقبون كلامهم
وحركاتهم حتى يتم اختيار أحدهم ، ثم وضع
هذا الفتى الأشقر ورقة "الأبلكيشن" أمام عادل
كما وضعها أمام هؤلاء الفتية ، وأمسك عادل
بقلمه وكتب كل ما طلب منه في هذه الورقة ،
وأخذ هذا الشاب الأشقر من هؤلاء الشباب كل
عشرة دقائق أحدهم ، وبعد نصف ساعة
جلسها عادل في انتظار دخل مع هذا الشاب
لتلك الغرفة التي يجلس بها هذا الرجل ذو
الشارب الكثيف والبذة السوداء فصافحه عادل
وجلس أمامه في صمت ، فقال له هذا الرجل
ذو الشارب الكثيف:
هل هذا هو اسمك؟
فقال له عادل:



18

نعم ؛ إسمي عادل نور الدين محمود ، فقال له

هذا الرجل:

وماذا كنت تعمل من قبل؟

فقال عادل:

في مهنة الميكانيكا وقد مكثت بها عشرة أعوام

، ثم سأله الرجل مرة أخرى ،

ولماذا ترغب في عمل آخر؟

فقال له عادل وهو يحرك جسمه ناحية اليمين:

لأنني كرهت تلك المهنة ، فإني أعمل بها عدة

شهور وبعدها لا أجد العمل ولذلك أرتغب

بتغيرها ، فسأله مرة أخرى:



19

هل تعلم ماهية هذا العمل الذي تقدم عليه وما
يتطلب من مهارات وفنيات ولياقة بدنية وجرأة
وشجاعة؟

فقال له عادل:

نعم أدري وهذه الأوراق تثبت لك أنني قد
حصلت على شهادات في لعبة التايكوندو وفي
الخدمة العسكرية كنت في الصاعقة وكنت
أصيب الهدف من رمية واحدة ، وهذه أيضاً
شهادة بذلك وحالياً أتمرّن في صالة كمال
الأجسام ، وها هو جسمي أمامك تراه ، وإن
أردت اختباري في قتال أو سلاح فافعل ، فنظر
هذا الرجل صاحب الشارب الكبير في وجه
عادل وقال له:



هيا انصرف وانتظر منا مكالمة تلفونية بالقبول
أو بالرفض ، فنظر عادل في عيني هذا الرجل
ومد يده وصافحه ثم انصرف من المكان
واستقل عادل السيارة وجلس في المقعد الذي
يلي السائق مباشرة وأخرج الأجرة للسائق
حتى لا يقطع عليه من بجواره حبل أفكاره مرة
أخرى ، وظل يحدث نفسه بما تم معه وما وجد
من بطالة وعدم وجود عمل ، فقال لنفسه:
لقد تعبت من البحث عن عمل ، أريد أن أستقر
في حياتي ؛ لقد سئمت من عمل هنا مرة
وهناك مرة ومن مكان إلى مكان ومن أناس
إلى أناس ؛ أريد تغيير عملي ، فهذا العمل
أرهقتي وأقعدني وجعلني أقترض من هذا ومن
ذاك وكأني لست بصاحب حرفة ، فتوالت



الأفكار على ذهن عادل وهام في حياته العابثة
المضطربة ، فلا هو الذي تزوج ولا هو الذي
حقق لنفسه أي شيء ، كأن القدر يوظفه في
عمل آخر وفي بيئة أخرى ، فلا تعجب من
صنيع القدر ، فبعض البشر من المجد قد نزلوا
الحضيض والبعض صعدوا من الدنا للعللا ،
فقد يعلو الإنسان ويهبط ليس بمهارته ولا
بعقله ولا بقدراته ولكن بقدر الله ، فكم من
رجل ذي عقل كبير وعلم واسع ومهارات فائقة
وتراه بين الفقراء يعيش ؛ وكم من جاهل
ومحدود القدرات ولا يجيد القراءة والكتابة ولا
يملك من مقومات النجاح أي شيء وتراه
يناطح العلماء والأذكى وأصحاب القدرات
بماله الذي ورثه أو سرقه أو كسبه من عمل



في بعض الدول ، مع أنه لم يخطط لذلك أبداً
ولم يدرس فن تحصيل المال ولا العلوم التي
تأهله لذلك ، وخاصة في بلادنا حيث أن
أساتذة الجامعات وأرباب العلم والفكر هم من
الطبقة السفلى في المجتمع وأصحاب التجارة
والأعمال والسوق والمقاولات هم من الطبقة
العليا ، فكم يساوي العلم في مجتمعاتنا؟
وبكم يقدر الفكر والعلم والعلماء؟
فالليث يأكل النعجات والمها ، والذئب والكلب
يلعقان الجيف والثرى ، فليس كل اللحم تأكله
السباع ولكن تأكل الطيب منه ، فلا ترى ذلك
العصفور يصبح سيداً ، ولا طائر البطريق يأكل
ويشرب سوى لحم الأسماك وطيب الندى ،
فتتهافت الأوراق الجافة من الشجر في الخريف



وتبقى الشجرة بفروعها لا تسقطها الريح ولا
الأعاصير إنما تتأثر بالنار التي تأتي لتحرقها
، فالسماء الصافية ليست بالجميلة وقت
الصيف وفي الهجير ؛ أما رونقها وجمالها
يكمن في هدوء الشمس وفي فصل الشتاء ؛
حيث الغيوم التي تمشي على استحياء ومنظر
السحب التي تحجب الشمس وحرارتها عن كل
الكائنات ،

فينبعث الهواء الممزوج ببعض الرومانسية
والنشوة ، فتجد الطباع الحادة تلين والصعب
والحزن يصير طبعه سهلاً ، فالليل يأخذ
الأرواح لعالم لا نهائي من الخيال والدعة
والحلم الواسع وبعض الحزن لمن بعد عن ربه
؛ أما أرواح كل المؤمنين الذين يعشقون الله



فليلهم كله متعة وخلوة بربهم الرحيم ،
فيواجهونه في السحر وفي ساعات يخلو فيها كل
إنسان بحبيبه ، فما أجمل من ليل العاشقين
والمحبين!

-نزل عادل من السيارة ، فقابله صديقه حسام
وقد كان يمسك في يده بعض الأطعمة
والمشروبات في جعبة بلاستيكية ويرتدي
نظارة سوداء تغطي وجهه الصغير ، فصافحه
بحرارة وعانقه وقال له في ابتسامة عريضة:

كيف حالك وأين كنت هذه الأيام؟

فقال له عادل وهو يبتسم:

أنا لم أذهب لأي مكان ، فقط كنت في المنزل

ولم أخرج ، فقال له حسام:



ولماذا لم تتصل بي حتى أزورك؟

فقال له عادل:

لم أحب أن أزعجك بشؤوني ، فقال له حسام:

وهو كذلك ، سأراك في المساء ، فصافحه

عادل وهو يبتسم ، وتركه ليذهب للمنزل وقد

أرهقه السفر لهذا المكان في هذا اليوم الحار

والذي بلغت درجة حرارته أكثر من أربعين

درجة مئوية ، فدخل المنزل وإذا بأمه قد أعدت

الطعام وتنتظره مع أبيه ، فجلس معهما

ليتناول هذا الطعام ، وأثناء الطعام سأله الأب

قائلاً:

ماذا فعلت في هذا العمل الذي ذهبت من أجله؟

فقال عادل وهو يمسك رغيف الخبز:



ذهبت هناك وملأت هذه الورقة التي يسمونها
"أبلكيشن" وقابلت هذا المسؤول وتحدثنا سوياً

وقال لي:

سنتصل بك عما قريب ، وهذا حال أغلب العمل
في مصر ، فهم يوظفون أتباعهم في العمل ثم
ينشرون ثمة إعلان يطلبون فيه الناس للعمل ،
حتى لا يلومهم أي أحد ، فقالت الأم وهي
ترفع أكفها للسماء داعية:

وفتك الله يا بني وأصلح حالك ، ثم قال الأب:

إن شاء الله ستفرج عما قريب ، فنظر لهما

عادل وقال: الحمد لله لقد شبعت سادخل

غرفتي لأبدل ملابسي وأغتسل ، فأنهى الأب

مضغ اللقمة في فيه وقال: على الرحب

والسعة.



27

-مرت الساعات والأيام وعادل يبحث عن عمل
هنا وهناك ويتصل بهذا وذاك ولكن دون جدوى
وفي اليوم الرابع بعد تلك المقابلة أتاه هذا
الاتصال من هذا العمل ، فأخبروه بالحضور
فوراً ومعه أوراقه ومسوغات تعيينه.



الفصل الثاني

-على الفور ذهب عادل إلى هناك وسلك نفس الطريق واستقلّ نفس المواصلات التي تؤدي لهذا المكان ، وصعد لهذا الطابق ثانية وطرق الباب ولكنه لم يرى هذا الفتى الأشقر ولا هذا الرجل صاحب الشارب الكبير ، ولكنه وجد فتاة شقراء وشعرها شبه ثائر وترتدي شبه قميص ضيق "وبنطال" جنس قصير ، وترتدي بعض الخواتم والأساور الذهبية ، فنظرت في وجهه وهي تصافحه وقالت له:

تفضل في الداخل فالسيدة علياء تنتظرك في الداخل ، فدخل عادل لتلك السيدة المذكورة فوجدها تجلس على أريكة شبه متعرجة وترتدي ملابس أفضل من صاحببتها ، ولكن



جمالها أبهى وأفضل فشرها ينساب كالحرير
، ولون العين يشبه لون ورق الشجر الأخضر
ولكن الفاتح منه ، وتمتلك ملامح غربية
فرنسية ،

فاعتدلت علياء تلك المرأة الأنيقة التي يكسوها
الطابع الرقراق ، وصافحها عادل وجلس
أمامها في أدبٍ جمٍ وهو ينظر في وجهها
ليستنطقها ، فعادل يتمتع بالجرأة والشجاعة
والإقدام مع أدبه وحيائه المفعم بالرجولة
والمروءة ، فقالت له علياء:

علمت أنك تعمل في مهنة عادية مع أنك
صاحب مؤهل عالٍ ومعك بعض الشهادات في
بعض المهارات ، فلماذا تعمل مثل هذا العمل



تلك السنوات السبع والتي كنت أتلقى العلم
فيهن وحصلت على لسانس الحقوق ، ولكني
لم أحب هذا المؤهل لأعمل في مجاله لشيء
في صدري ، ولأن هذا المؤهل لا يجدي نفعاً
في بلادنا إلا من عمل فيه وفتح مكاناً لقضاياه
وزبائنه ولعب بالقانون وتحايل عليه ، أما أنا
فاخترت العمل الذي أكدُّ فيه وأتعب وأكسب
قوتي بعرق جبیني ، فنظرت إليه علياء وهي
باسمة الثغر وقات له:

وبعد ذلك ماذا حدث؟

فقال لها عادل:

لقد مات هذا الرجل الميكانيكي وأغلق أولاده
من بعده تلك الورشة وعملت هنا وهناك في
مصانع وشركات ولكني لم أوفق في المكوث



في عمل ثابت ومستمر ، وهذا ليس لأني
أبغض العمل ولكن لأن العمل ينتهي إما
بانتهاؤ دورنا فيه وإما بتصفية من يعملون في
المكان وإما بتفضيل أحد الناس عليّ ، فنظرت
إليه علياء في إعجاب وقالت له:

وهل بعد هذا ستغير مهنتك؟

فقال لها عادل وهو يعتدل على مقعده ثم قال
لها:

نعم لو كانت تناسب قدراتي وإمكاناتي ،
فنظرت إليه علياء وهي تتنفس الصعداء قائلة:

فلتسمعي يا عادل:

أنا امرأة ثرية من أصلٍ خليجي وعندي الكثير
من الأموال والعقارات والمؤسسات ولدي



الكثير من الحراس ، ولكني أحتاج فتىً مثلك
على وجه الخصوص ، وستخضع لاختبارات
عدة ، ولو تخطيتها سيكون لك الشأن العظيم
عندي ، فهل عرفت ماذا ستعمل لدينا الآن؟

فقال لها عادل في سرعة بديهية قائلاً:

نعم عرفت وسأكون عند حسن ظنك بي ،

فقامت علياء ونظرت لعادل قائلة:

وهو كذلك ، ثم نادى على شيماء قائلة:

يا شيماء هيا خذي منه أوراقه ووقعي معه

العقد وأخبريه بما سيفعله من الغد ،

فقام عادل من أمامها وذهب للغرفة الأخرى مع

شيماء وجلس أمامها ووقع العقد ، ثم أخبرته

بأن يتواجد غداً هنا في الساعة التاسعة صباحاً



بحقية ملابسه وبكل أغراضه لأنه سيقم إقامة
كاملة هنا ، ثم بعدها انصرف عادل في هدوء
لمنزله وهو في فرح وبه من السرور ما يكفي
لإسعاد ألف شخص ، فهكذا يأتي بعد العسر
يسراً وتتقلب الأحوال من صعب لسهل ، كأن
الليل لا يكون سوى ساعة أو عدة دقائق ،
وظل القمر لا ينطوي عبر سطوع شمس
الظهيرة ، فلا يجوز أن تبول وسط المياه
الجارية ، فالعفن يخرج من بطون النساء
الغانيات ، ويشرب الخمر كل سقيم ومبتلاً
بالعذاب ، حتى بعض الحشرات تتزاوج ويكون
لها مملكة ورعايا ، كأسنان المشط تعيش
النحل ويسودهم يعسوبهم المبجل والكبير ،
وتنظر الدجاجات من القفص المصنوع من



الجريد على منظر الهواء الطلق وعلى الحرية
ونسيم الهواء الذي يخلو منه القفص ، لأنهم
اعتادوا على الحرية والانطلاق ، فمن أراد
الحرية والهواء ونسيم الصبا فليكنتم أنفاسه ولا
يصرخ حتى لا يسمع صوته هذا القزم الصغير
فينفت فيه سمه ويضعه في قفص الطيور
الحزينة التي حملت هم غيرها من الطيور
الطلقة ، فها هم يطرون ويغردون بأحلى
الألحان ومن في القفص من أجلهم يبكون في
القفص ، ولكن لا حياة للجبناء من رضوا
بالكلمات الرثة والأفعال الساقطة ، فلن يلج
الجمال من سم الخياط كما قال رب الأرض
والسماوات ، فهلاً كنا كبنات الغرب صاروا مع
تقدم العمر أفضل من الذكور وصنعوا الجدار



المرتفع الذي يحجب دخول النحل بيت السلطان
، فكل عجوز تنتظر الموت ولكنها تأمل في
الحياة وما فيها مع أنها عانت من الدهر
وشربت من كؤوس الأيام جرعات وجرعات
حتى ارتوت وابتلت عروقها الدقيقة الضعيفة ،
فمن يبالي أيها الماكر العرييد على أي جنب
تموت فلقد كان من هو أفضل منك وأبهى
وأحسن منك ولكنه نال قدره وأخذ حظه ولاقى
ربه ليجد عنده ما كان يفعله بالأمس من قتلٍ
لخلايا الحياة وقواعد الدنيا وهدم أعمدتها
لتنزل الشهب على رأس الطفل العاري وسط
الصحراء وبعض العقارب تلهو معه والثعبان
يرقص له ويداعبه والعَبْرَاتُ تنزل من عينيه
لتنزل على وجنتيه لتمتزج بغبار الوادي



الفسيح الذي تكثر فيه الأعاصير والرياح
 فتحول وجهه للوحة طفل بئس قد صنعت
 كُنحت تمثال أو دمية مصنوعة من الجبس ،
 فهل سيجد الأغنياء مكاناً في بطونهم لإطعام
 الفقراء والمساكين الذين يتضورون من الجوع
 ويلتحفون السماء على أجسادهم النحيفة التي
 تشبه الجسد بعد أن يتحلل فيصبح هيكلًا عظمياً
 ، فلن تجد ما تبحث عنه لأن موازين العدل في
 هذا الزمن قد سرقت أو كسرت أو بيعت لابن
 الشيطان. سرَّ عادل بما حدث ، وظل في
 الطريق يفكر فيما جرى وما سيكون فالأيام
 حبلى بما يمكره البشر ويفتعلونه من أجل
 السيطرة والبقاء والهيمنة على بعضهم البعض
 ، (فلا شك أن كل طريق تسلكه نحو العيش



38

والسلامة والوصول لغاية ما سيكون في أوله
صعب ولكن مع المثابرة والإصرار والصبر
ستصل لما تريده عاجلاً أو آجلاً)

-وصل عادل لمنزله ويفعمه الشوق والسرور ،
فلقيَّ أباه بهذا الوجه الطلق الفرح ، فسُرَّ له
وقال له الأب:

أبشرنا بوجهك الذي يأتي بالخير؛ ماذا حدث
معك؟

فقال عادل وهو يبتسم:

لقد وقَّعتُ عقد العمل يا أبي مع هؤلاء القوم
وسأربح منهم كل شهرٍ خمسة آلاف من
الجنِيهات ، فسألت الأم ابنها قائلة:



وهل ستذهب كل يوم إلى هناك يا بني؟ فقال

عادل:

لا يا أمي سأمكث هناك ، ولكن سأتيكم كل

أسبوع إن شاء الله ، فقال الأب: وأي عمل

هذا الذي ستعمله يا بني؟

فقال عادل وهو ينظر لأبيه:

أنا سأعمل حارس شخصي لامرأة خليجية فقال

الأب:

ولماذا تحتاج هذه المرأة لحارس يا بني؟

فقالت الأم وهي تنظر لعادل:

يا عادل توخى الحذر من هذه المرأة يا بني

ومن هذا العمل ولولا رزانه عقلك لمنعتك من



هذا العمل وما يحويه من مشاكل ، فقال لها
عادل في صوت خافت:

لا تخافا علي فأنا أعي لما سأفعله وما أتخذه
من قرارات ، ولكن دعوتكما لي ، فأنا أسير
وأعيش وأفعل كل شيء بفضل دعائكما لي ،
فقال الأب:

سأدعو لك يا بني على طول الطريق ، فقام
عادل وهو يقول:

أستأذنكما لأنهي بعض أموري قبل الصباح ،
فالوقت يمضي بنا دون حراك ، فقال الأب
لعادل:

كما تشاء يا بني ، تفضل ؛ هيا تفضل ،
فانصرف عادل ليعد العدة لهذا العمل الجديد
ويودع أصدقائه ولا سيما حسام ، فهذا



الشخص من أخلص أصدقائه وأكرمهم له
معاملة ، فمن النادر العثور على صديق في هذا
الزمن المفعم بالخيانة والغدر وعدم الوفاء ،
فمعظم الناس يركعون وينحنون للدينار
والدرهم ، وإذا قورن الدينار والصداقة فالكثير
مع الدينار وله يسجدون ، فكم من صاحب
وصديق باع صديقه لحفنة من المال أو
لمنصب من المناصب أو لمرأة شمطاء خرقاء
لا تزن مثقال ذرة في سوق النساء ، ولكن
على من جرب الحياة وعاش وسط الذئاب
فالحذر من الصديق قبل العدو ، فكما قال
القائل:

(احذر من العدو مرة ومن الصديق ألف مرة
فربما انقلب الصديق فكان أعلم بالمضرة)



أو كما قال القائل:

(أحبب صديقك شيئاً ما ، فعسى أن يكون

عدوك يوماً ما ؛ وعادي عدوك شيئاً ما ؛

فعسى أن يكون صديقك يوماً ما)

-حتى المرأة في عش الزوجية لا تستأمن على

الأسرار الحساسة والتي تتسبب في السجن أو

الفضيحة ، لأن المرأة غالباً لا عهد لها ولا

تبقي على سر من الأسرار أمام أول طلقة غدر

أو خيانة من أي نوع أو خطأ ما من زوجها

فسرعان ما تشي به وتزج به في مستنقع

الموت والفضيحة والسجن أو طريق الهلاك ،

فالسر أولى به بطنك وقلبك ولا تبوح به لأي

أحد كائناً من كان ولو كان الأخ أو الأب أو

حتى من يدعي حبك وولائه لك من أجل بضع



دراهم تلقيها له ، فلو تبدل الحال ممن أنعمت
عليه لسخط عليك وتآمر عليك من أجل لعاعة
لا تساوي في عين الحكيم ، ولكن هذا هو
الحال فيمن لا يصاحب تحت ظل الدين والتقوى
، فكل صديق لا تكون التقوى والإيمان منهجه
فهو لا أمان له في الدنيا ولا في الآخرة أبداً ،
لأن مقياس الأمانة والوفاء والصدق مقيد
بالتقوى والإيمان ، حتى إن رسول الإسلام
والمسلمين صلى الله عليه وسلم قال:
(لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي
) ؛ ويقول الله سبحانه وتعالى:
(الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوٌ إلا المتقين)
؛ هكذا حكم العليم الخبير على تلك العلاقة ،
فهو أعلم بعباده وبما يصلحهم ويفسدهم ، لأن



جميع العلاقات إذا ابتعدت عن طريق الله ضلت
الطريق وانحرفت عن الجادة ، لأننا نعيش في
نظام محكم قد رسم معالمه رب الكون وهو:
(من أراد الفلاح والصلاح وأن يكون طريقه
بلا صعوبات ولا يعتريه الوهن ولا الإخفاق
فعليه بطريق الرحمن في عبادة والإيمان
وتقوى لله)

-جلس عادل مع حسام في منزله وبعدها خرجا
ليذهبا خارج المنزل حيث هذا المكان الذي في
أعلى قمة الجسر المائل الذي يعبر فوقه القطار
من حين لآخر ، فجلس حسام على ذلك الجسر
وجلس عادل بجواره وقص له ما حدث معه
اليوم وما سيفعله وهل هذا العمل سيكون من
الأعمال التي يستقر بها أي رجل مثلنا؟



فحذره حسام من هذا العمل رغم ظاهره الجميل
إلا إنه قد يحوي الكثير من العواقب الوخيمة
لمن هو أدنى منهم ، ولكن عادل يرى أنه من
الأعمال التي لا ضير فيها ولا قلق من شأنها ؛
فحقائق الحياة عند الكبار تكون أحلام الصغار ،
وأحلام الصغار حقائق الكبار وما يشعر به
البعض من ألمٍ لا يحسه من بجواره ولو كان
من صلبه ، أرأيت ما يأكله الضرغام من بقرٍ
تلهو وتنتشر، ما هي إلا بعض ولائم الصغرى
، تصحو الفأرة على صوت القط فتختنق من
خوفها على من معها من فأر ، وتتلاشى
صيحات الحمقى وتذوب في الأفق أهات الثكلى.
-حدث عادل نفسه بعد عودته للمنزل وجلس
بمفرده فقال:



أين أنت يا عادل من هؤلاء؟

هل تراها أعجبت بك وبما أنت عليه من ألقٍ؟
من أنت أيها الصعلوك لتمكث وسط الأغنياء ،
فأنت من السوقة ومن حثالة المجتمع الذي
يعيش بطبقات ثلاث ، طبقة للمترفين
وأصحاب الكراسي والشركات الكبرى والنفوذ
، وطبقة للذين يعملون أو يديرون بعض
الأعمال الخاصة واللصوص ومن يصطادون
في الماء العكر ، وطبقة في الحضيض وتحت
البشر وهؤلاء النسبة الكبيرة في المجتمع
الذين لا يأخذون حقهم من العلم ومن خيرات
البلاد والذين يعيشون على الرماد ونخالة
العيش ؛ أين أنت من هؤلاء يا عادل؟



فلا تمنى نفسك بما يفوقك ويتعداك حتى لا
تسقط على رأسك صريعاً تخطفك الطير أو
تغوص في وحل السجون والقبور فلا تستعجل
فالأيام ستخبرك بما تخبئه من غيب خفي.
-اجتمعت شيماء وعلياء معاً لمناقشة أمر عادل
، فاستلقت علياء على سريرها وبجوارها
شيماء وقد استعدتا للنوم ، فقالت شيماء:
ما الذي أعجبك في هذا الشاب يا علياء؟
فقالت علياء:

يا شيماء إنه يختلف عن كل من وفدوا إلينا
من شباب ، فهو يتمتع بتجارب عدة في حياته
العملية وبه بعض الشيم التي تفضله على كثير
من غيره من الشباب ، فقالت شيماء:



وهل سيكون معنا في كل حياتنا حتى في

المنزل؟

فقلت علياء وهي تضرب بقدميها فراش

السريـر:

نعم يا شيماء سيكون كل شيء كما أردناه

وسنكون في مأمن بما نضعه من حرس هنا

وهناك وبما نتخذه من تدابير حكيمة.

-أتى الصبح فخرج الناس للعمل ما بين بائعٍ

في محلٍ للمأكولات وما بين موظفٍ في عمل

حكومي وغير ذلك واستيقظ عادل من نومه

وأخرج ملبسه التي سيرتديها وأحضر حقيبة

سفره فهو لم يسافر بعيداً عن المنزل منذ

سنوات ، فقد اعتاد على عمله بالقرب من

المنزل من أجل أبويه ، فتجهز للسفر ودخل



عليه الأب ليودعه قبل سفره وينصحه بنصيحة
الأب الحكيم فقال له:

يا عادل إياك والسير خلف النزوات فمنها تأتي
الحسرة والندامة ، ودع مجالس الأشرار لأنها
تؤدي للموت والسجن أحياناً ؛ وأخيراً لا تأمن
على نفسك من إنسان خائن أبداً ، فاستمع
عادل لنصح الأب وقبله وقبل أمه وأخذ
أغراضه وانصرف لهذا العمل الجديد واستقل
السيارة التي نقله إلى هناك وأثناء جلوسه
تذكر تلك الأيام الخوالي التي قضاها مع هذه
الفتاة التي كانت معه في الجامعة وكان يحبها
وتحبه لولا القدر الذي فرق بينهما لأنه لم يكن
في استطاعته الزواج بها وقتئذٍ ، فتذكر كلامها



50

وهي تضع رأسها على كتفه في تلك الحديقة
التي بجوار الجامعة قائلة له:

يا عادل أنا أحببتك من كل قلبي ، فهل سنفترق
يوماً ما؟

فقال لها عادل:

أنا أحببتك يا أمل ولن أترك ما لم تتركيني
وهذا العهد قطعه على نفسي ، فقالت له:

ولكن يا عادل أبي يريد زواجي من هذا الشاب
الثري الذي يأتي مع أبيه عندنا فوالده شريك
أبي في هذه الشركة التي يديرونها ويتربحون
منها ، فقال لها عادل وهو ينظر إليها في
غضب ثم قال لها: وماذا أفعل يا أمل؟



هل أذهب إلى والدك وأتقدم لخطبتك أماذا

تريدين مني؟

فقلت له أمل:

تعالى وحاول ولا تعجز ويكفيك شرف المحاولة
ويكفيني أنك حاولت التمسك بي والإصرار على
البقاء على حبي ؛ فتذكر عادل عندما ذهب إلى
منزلهم وهو بمفرده ولما دخل هذا المكان
الكبير الذي يعج بالأشياء الثمينة والزخارف
المكلفة ولم ينسى عندما أدخلوه ليقابل هذا
الرجل والد أمل ونزل من أعلى في الطابق
الثاني من المنزل وهو يرتدي ذاك الثياب
المصنوع من الحرير ويمسك بسيجارته الكبيرة
وهي يتطاير منها الدخان الذي ملأ المكان كله



كأنه يشوي شواءً ، فجلس وهو ينظر لعادل
في غطرسة وكبير، فقال له:

تكلم يا بني ؛ ماذا تريد مني؟

فنظر له عادل قائلاً: أنا يا عماه مع أمل في
الجامعة وأنا في السنة الثالثة وسوف أخرج
العام المقبل ، وأريد خطبة بئتم أمل ،

فقال له الأب:

وأنت ما اسمك؟

وأين تقيم؟

فقال له عادل:

في مصر القديمة وتحديداً في دار السلام

فنظر له الأب ثم سأله:

وماذا يعمل والدك؟



فقال له عادل:

أبي كان يعمل في صنعة ما والآن لا يعمل

وملازم المنزل والفراش ، فقال له الأب:

وأين ستقيم بعد الزواج وكيف تتفق عليها؟

فأجابه عادل في ثقة بالنفس:

أنا أعمل الآن في حرفة ما وأتکسب منها وأما

المسكن فأمره بسيط ، فقال الأب في تهكم:

نعم ؛ أمره بسيط ؛ بمعنى أنك ستبحث عن

شقة أو أي مكان لتأجره أو تقطن في مكان رث

وتكون بذلك تناسب ابنتي وما تعيشه من

مستوى لن ترقى له بما تذكره من عمل في

حرفة وشقة تؤجر وقد ذكرت لي أمل أنك تعول

والدك وأمك ، فهذا كله من الشرف بمكان



وأفتخر به وقد ارتقيت في نظري بما فعله ،
ولكن ضع نفسك مكاني ؛ لو أني وافقت على
زواجك منها وعشت كما تخطط وكما تتوي ،
ستفعل ولكن هي لن ترضى وستتذمر وستمن
عليك وتفتخر عليك فيما بعد حتى لو ادعت
ألف مرة أنها تحبك ؛ فيا بني لابد للزواج من
تكافؤ بين الزوجين في النسب والعلم والمكانة
الاجتماعية ، حتى لا تتدم هي أو تتدم أنت
وتفترقا وندخل في صراع وشجار وثقب في
قلبها أو قلبك ، فنظر عادل له وقال:
أرى في كلامك الصواب وعدم الموافقة على ما
نريد؟



فنظر الأب لعادل نظرة عميقة وقال: نعم أنا لو

تركتمما وما تريدانه لكنت أنا أول من يعاني

مما تجدونه ؛ دعني أقول لك يا عادل:

إن النساء بين جنوبهن لطبع غريب ، فالمرأة

عندما تجد الإحسان والمال والراحة والسعادة

والفسحة في العيش والحياة تكون سعيدة

وتأخذ من لسانها أفضل الكلمات وتعطيك ما

تطلب من بسمة ومداعبة وغير ذلك ، أما لو

رأت الفقر وقلة المال واحتاجت للناس

وشاهدت غيرها أفضل منها لعنت وصخب

وصرخت وتململت وفضحت زوجها وعيرته

ومنت عليه لو كانت أعلى منه نسباً أو علماً أو

مكانة مع أبيها فهذه هي المرأة ؛ وكما قال

المثل الهندي:



(إذا دخل الفقر من الباب خرج الحب من

النافذة)

لأن الفقر والاحتياج لا يجتمعان مع الحب أبداً

، فطأطأ عادل رأسه وقال:

لقد تفهمت الوضع وأعي ما سمعته منك ، وقد

تعلمت من خبرتك الكثير، ثم نظر عادل من

نافذة السيارة فوجد المكان قد اقترب فتجهز

للنزول ورفع حقيبته ووضعها على فخذه وهو

على أهبة الاستعداد ، وسرعان ما وصل فنزل

من السيارة ونظر في هاتفه ليرى كم تكون

الساعة ، فوجدها تمام الثامنة والنصف ،

فصعد للمبنى الذي يقصده وحاول الصعود ،

فقال له البواب وهو ينظر له من أسفله لأعلاه:



إنهم لم يأتوا بعد ، هيا اذهب وتعالى بعد نصف
ساعة من الآن ، فانصرف عادل وذهب لمحله
بقالة فاشترى منه بعض الطعام وجلس على ما
يسمى بالقهوة وتناول طعامه وشرب كوب
الشاي إلى أن مضت هذه الدقائق ومضت ،
فحياة الإنسان على ظهر الأرض مفعمة
بالمتاعب والمآسي وما يكدر على المرء عيشه
من أمراضٍ ونكبات وإبعاد وحرمان فخبز
الجانح ليس بخبزٍ ، بل هو في نظره مثل
اللحوم لدى الملوك وخدمهم ، فلا يأكل خبز
الشعير سوى من رضي بالقليل واكتفى بما
يُقمنَّ صلبه من لُقِيَّمات ولو ثلاث تمرات
وجرة ماء ، عند الظمأ ، فتَهون الحياة
وتصغر ما فيها من لذات ومطامع ، فما أحلى



من ري ياتي على ظمأ ومن شبع بعد جوع ،
 فأوراق الكتاب الذي وقع عليه الزيت تشمئز
 منه النفس بطبيعتها ، فلا يقترب السبع من
 مورد للماء وقد وُلغَتْ فيه الكلاب ، ولا يرضى
 الرجل الشريف إلا بحسن الفعال.

-انتهى عادل من طعامه وشرابه وذهب لهذا
 المبنى الذي يريده وصعد لأعلى وطرق الباب
 فوجده مفتوحاً ، فسمع صوت علياء تقول له:
 هيا ادخل نحن في انتظارك ، فدخل عادل فوجد
 علياء ومعها شيماء وهما يجلسان على
 المقاعد بحضرة هذا الرجل ذو الشارب الكبير ،
 فألقى عادل عليهم السلام وصافحهم وجلس
 بعدما وضع حقيبته على الأرض ، ونظر إليه
 هذا الرجل ذو الشارب الكبير وقال له:



هيا يا رجل استلم عمك من هذه اللحظة
وستكون برفقتها من الآن وفي كل مكان ،
وإياك أن تهمل في واجبك وما كلفت به ، لأن
عاقبة ذلك وخيمة وعظيمة ، فحملق عادل في
سماء الغرفة وفي جوانبها وقال:

سيكون كل شيء على ما يرام بإذن الله ، ثم قام
هذا الرجل وأخرج من ملابسه هذا السلاح
الناري أو ما يسمى بالمسدس ومعه بعض
الذخيرة وسلمها لعادل وقال له:

هذا سلاحك الشخصي يا عادل وهذه رخصته ،
لا تدعه بعيداً عنك وكن دائماً يقظاً وحذراً ،
فطأطأ عادل رأسه قائلاً:

وهو كذلك سأفعل إن شاء الله ، ثم صافحهم
هذا الرجل المدعو رشيد وشهرته أبو جبل



وانصرف وتركهم بمفردهم ، فقالت علياء

لعادل:

هيا تصرف كأنك في عمل واجلس بحرية
ومارس عاداتك اليومية كما شئت ؛ أي اقرأ أو
تصفح الفيس بوك أو شاهد التلفاز أو مارس
تمارينك اليومية أنت في مكانك لا تقف مكتوفاً
هكذا ، فنظر عادل في استغرابٍ وقال لهما:

هل تريدان أي شيء من الخارج؟

فقالت له شيماء وهي تهز رجلها التي وضعتها
على الأخرى قائلة:

لا ؛ فهناك من يأتي لنا بما نريد وهو محل ثقة
منا مثلك أيضاً فقال لها عادل وهو يتحرك نحو

الداخل:



كما تريدان ، فذهب عادل ليغلق الباب من الداخل ويمارس عمله كأنه متمرس في تلك الوظيفة منذ زمنٍ ويؤمن النوافذ والفتحات ويستطلع لما في المكان من أشياء ، فوجد الكاميرات في كل مكان في الشقة، فتصفحها من خلال الشاشة ورجع للخلف بذاكرة الجهاز فلاحظ أحد الشباب في المكان منذ أيام ووجهه غير مألوف ، فكبر صورته أكبر فأكبر حتى ظهرت تلك الندبات التي في وجهه كأنه خارطة لبلد بها متعرجات وعرة ، فدخلت عليه شيماء ونظرت في الشاشة فرأت هذا الشاب ثم قالت لعادل:

إنه أحد الشباب الذين نحاذر منهم ، فهو من تجار المخدرات وقد تورطت معه أختنا أحلام



62

وأدمنت المخدرات وأعطته الكثير من المال
وقد سلب شرفها ولم يتمكن منه إلى الآن ،
فقال لها عادل في شغفٍ:

وماذا عن أحلام؟

فقالت له شيماء بصوت متهدج:

لقد ماتت بعد تناولها جرعة زائدة من
المخدرات ، فقال لها عادل في استغراب:
وهذا الشاب ماذا عنه؟

فقالت لقد هرب ولم يقبضوا عليه إلى الآن ،
وليس هذا فحسب بل يبتزنا من أجل بعض
الصور لأحلام وبعض الفيديوهات الفاضحة
التي يهددنا بها ، وقد أعطيناها ما يريد ولكنه



63

كالكلب المسعور فلا يقنع ويطلب الزيادة ولا

يسلمنا ما لديه من فيديوهات وصور

فقال عادل وهو يشيح بيده:

وما الحل مع هذا القدر الأفاك؟

ألم تخبروا الشرطة بكل ذلك؟

فقالت شيماء وفي صوتها نبرة حزن:

لقد علموا بعد مقتلها بكل شيء أما هذه

الأشياء فلا يعلموا بها لأنها تمس سمعتنا

وشرفنا ، فهو أخبرنا بأننا لو أعلمنا الشرطة

سينشر هذه الأشياء على الملأ وسيفضحنا ،

ونحن كما تعلم نقدر الشرف والعفة والطهارة

، فقال لها عادل:



الله المستعان ، سوف أنهي لكم هذا الأرق
وأجعلكم تنسون ذلك ، فقالت له شيماء تساله:

كيف ذلك يا عادل؟

فقال لها وهو يبتسم ابتسامة عريضة:

دعوا الأيام تثبت لكم ذلك وسترون مني ما

يسركم ، فنادت علياء:

يا شيماء ؛ يا عادل هيا سنخرج الآن ، فاستعد

عادل للذهاب معهم وأخذ الحقيبة ، فقات له

علياء:

دع حقيبتك وهيا ، سأجعل أحدهم يحضرها لك

على مكان إقامتنا

فسألها عادل قائلاً:

وما هذه الشقة أليست مكان اقامتكم؟



فأجابته علياء قائلةً:

ستعرف كل شيء في الوقت المناسب فلا
تتعجل ، ثم انطلقوا الثلاثة وفي الخلف عادل
ينظر يمناً ويسرةً ويراقب ما حولهما حتى
استقلوا جميعاً تلك السيارة السوداء الباهظة
الثمن وانطلقوا بها ، ليرى عادل من تلك
السيارة وهو يقودها العالم بشكلٍ مختلف
وواقعٍ غير الذي يألفه ، ويهيم بعقله ويقول
لنفسه:

هوؤلاء الناس رغم عيشهم الرغيد وما هم فيه
من متع الحياة إلا إنهم ليسوا سعداء ولا في
فرح وسرور ، فحياتهم مليئة بالمخدرات
والمصائب المفتعلة التي كسبوها بأيديهم وبما
يفعلوه من رذيلة وتسيب وعدم النضج والتفكك



الأسري وإلقاء العباء على عاتق الأم وترك
الأبناء بلا سؤال أو رقيب أو خوفٍ على من هم
دونهم ، فتخرج الفتاة بلا حياء لتفعل ما يحلو
لها من مرافقة الفتيان والتدخين وربما
المخدرات وقد تقع في الرذيلة حتى تصطم
بواقع مأسويٍ ومشاكل لا حل لها سوى القتل
أو الفضيحة أو السجن ، ويظهر دور ولي
الأمر بعد أن تغوص الأقدام في وحل الابتزاز
والمطامع والمساومة على الشرف والمال
والعرض ، وحينها نندم ونحزن ونشتكي
ونبحث عن حلٍ ، فماذا لو تحكمتنا في نزواتنا
وشهواتنا ورغباتنا ووظفناها في عمل أو
رياضة أو موهبة ما ، وماذا لو لم نثق في كل
الناس ونترك أنفسنا لمن يجبروننا على دفع



المال لهم أو ترك أمتعنا لهم أو أن توقع على إيصال أمانة حتى يتركك وترحل بعدما سقطت في شباكه إن ما يحدث الآن من استغلال وما نسميه بالنصب على البهائم قد انتشر في كل مكان وهذا لانتشار الشذوذ عبر مواقع التواصل الاجتماعية وعبر الشبكة العنكبوتية ، فترى أحدهم يذهب من مكان إلى مكان ليقيم علاقة شاذة أو علاقة مشبوهة ، فيجد غير ذلك ، ويصطدم بمجموعة من اللصوص المحتالين ، الذين يضعونه في موضع مخزي ومهين ثم ينقضوا عليه ويساوموه ويخيروه بين الفضيحة والعار وبين أن يعطيهم ما معه وما يملكه في منزله ، فكم من رجل باع حلي



زوجته واقترض من أجل أن يسكت هذا

المحتال.

-وصل عادل للمكان الذي يريدونه وهو مكان
على هيئة قصر كبير ويحيطه الشجر والنخيل
من كل مكان وحوله هذا السور الكبير ، ويقع
القصر في منطقة شبه معزولة ، أو ما يسمى
"بالكمبوند" ، فنزلوا جميعاً من السيارة

ودخلوا هذا المكان المليء بالكلاب المتوحشة
التي يقودها بعض الرجال ، فلفت هذا المكان
نظر عادل ، وصدق في تعجب وذهول مما
يشاهده فمنظر القصر أخاذ ومبهر لما يحويه
من حمام للسباحة ومتعرجات صناعية وهذه
الصخور والأشكال التي تزين المكان وتجعله
كالجنة .



الفصل الثالث

-دخل عادل معهما هذا المكان العجيب بما
يحويه من تحف وزينة ولوحات عملاقة
وتماثيل على هيئة رجال ونساء فنظر عادل
لهذا كله في استغرابٍ ولكن نظره الأكثر على
شيماء وعلياء ، فهو يراقب المكان كله
ويتوخي الحذر.

-دخلت علياء وشيماء كل واحدة غرفتها
وخرجا بملابس الحمام وعادل قد جلس في
فسحة القصر يراقب المكان ، فخرجت علياء
أولاً وهي ترتدي بعض الملابس التي لا تستر
سوى إلبتها وسوءتها فقط ، أو قل إنها نسيت
أن ترتدي ملابسها ، فأشارت لعادل على غرفة
ما وقالت له:



هذه غرفتك من الآن ، إذا أردت أن تبدل
ملابسك فافعل وعش حياتك ولا تتقيد هكذا ،
وخرجت شيماء أيضاً هكذا بلا ملابس سوى ما
يستر السوءة فقط وصدورها ، وتتحرك شهوة
عادل لمشاهدته ذلك وتطوق نفسه لمعاشرتهما
، فدخل الغرفة وارتنى ملابس فضفاضة أو
غير هذا الذي يرتديه ، وخرج لحمام السباحة
معهما وقد حمل في خصره المسدس ، فهو لم
ينسى أنه في عمل وليس في نزهة أو سياحة ،
وجلس على المقعد وشاهدهما وهما في الحمام
ولكن ناظره في كل المكان ، وبعد عدة دقائق
سمع رنين الهاتف الذي تملكه علياء فأخذ
الهاتف ونادى عليهما:
هناك من يتصل بكما ، فقالت له علياء:



من يا عادل؟

فقال لها عادل:

إن المتصل مجهول ، فقالت له علياء:

هيا اعطني الهاتف، فجففت نفسها وأخذت منه

الهاتف وقالت:

من المتصل وفتحت السماعة الخارجية ،

فخرج صوت المتحدث عبر الهاتف وهو يقول:

ألا تعرفين صوتي؟

فقالت له علياء وقد تغير لونها قائلة:

نعم عرفتك ؛ أنت جاسر؟

فقال لها جاسر:

نعم أنا هو؟

وأين المال الذي طلبته منكم منذ ثلاثة أيام؟



فقال له علياء:

وأين أجرك حتى أعطيك المال؟

فضحك جاسر وقال لها:

في نفس المكان الذي كنت فيه مع أختكم

علياء فقالت له:

سأبعث لك من يسلمك المال ، فقال لها جاسر:

من هذا الذي سترسلينه إليّ؟

فقال له علياء في صوت مرتفع:

إنه أحد الموظفين لدينا ، فصرخ فيها جاسر

وقال لها:

إياكم أن تلعبوا بي أو تخذعونني ، فأجابته

علياء قائلة:



لا ؛ اطمئن ولا تقلق ولكن عليك بإرسال كل

متعلقات أختنا كلها معه ، فقال لها جاسر:

وهو كذلك ؛ هيا أرسليه إلي وسيجدني ناحية

المكان وهذا الرقم فليتصل به علي ، سمع

عادل الحديث كله عن قصد من علياء ، ثم

نظرت إليه وقالت له:

هل سمعت يا عادل؟ فقال لها:

نعم ؛ هل هذا هو الشاب الذي يضايقكم؟

فقالت علياء:

نعم ؛ إنه هو ؛ هيا اذهب إليه وأسمعنا كيف

ستتصرف معه وسأكون أنا وأخي وبعض

الرجال بجانبك ، واتصلت شيماء بأخيها

وذهبوا جميعاً لهذا الوغد ونزل عادل هناك من



السيارة بمفرده قبل وصولهم المكان وسار
عادل وهو يترقب مشاهدته وأخرج هاتفه
واتصل بهذا الوغد وقال له:

أين أنت؟

فقال له:

أنا هنا في المكان ، وسرعان ما رد عليه
جاسر في الهاتف المحمول وقال:

من يتكلم؟

فقال له عادل:

أنا من أرسلتني علياء لأعطيك المال فأنا
بجوارك ؛ فقال له جاسر ماذا ترتدي من

ملابس؟

فقال له عادل:



أرتدي ملابس زيتية وأنا بجوار هذا المطعم
المكتوب عليه مطعم الأرزاق بالله ، فقال له:
أنا خلفك ؛ تعالى لهذا المكان الخلفي من هذا
المبنى ، فتحرك عادل ومعه شيماء ومن معها
يسمعون كل شيء عبر جهاز مشترك بينهم
وبين عادل وقد أحضر هذا الرجل الذي يدعى
برشيد مسدساً من نفس نوع المسدس الذي
مع عادل ، فتقابل عادل مع هذا الوغد
ويتحاورا ، فقال له جاسر:

أين المال الذي معك؟

فقال له عادل:

أعطني أولاً ما معك من متعلقات لنا ، فأخرج

جاسر ما معه من متعلقات وأعطاهما لعادل ،

وقال له:



هذه هي الصور "والفلاشة" التي عليها
الفيديوهات لقد أخذتموها ولم أخش منكم فيها
اعطني المال ، فقال له عادل:

ولو ظهرت أنت ثانية وطالبت بمال آخر ماذا
سنفعل؟

فقال له:

افعلوا ما يحلوا لكم ، وقبل أن يتم كلامه أته
طلقة نارية في صدره أوقعته قتيلاً ، فنظر
عادل لمكان الضرب فلم يرى أي أحدٍ ونظر
لهذا الوغد وهو مثخن بالدماء وقد ألقى على
الأرض واجتمع الناس من كل المنطقة
وحضرت الشرطة ، ولكن عادل لم يجري ولم
يهرب بل ظل مكانه حتى اتهمه من شاهده معه
بأنه هو آخر من كان بجانبه ، وسيق عادل



للشرطة وأخذوا ما معه من مسدس وأقوه في
السجن حتى يتم التحقيق معه ، وحتى يتم
اظهار نتائج فحص الطلقة التي قتل بها هذا
الوغد ، فدخل عادل محبسه في ذهولٍ ولا
ينطق لمن يسأله سوى :

أنا " بودي جارد " ؛ أنا في عملٍ مع أناسٍ من
الخليج العربي أنا لم أطلق عليه أي شيء ،
فاستدعاه ضابط الشرطة أو ما يطلقون عليه
في مصر بضابط المباحث ، فوقف عادل أمامه
وسأله قائلاً :

ماذا حدث؟

قص علي ماذا حدث من الألف إلى الياء؟

فقال له عادل :



أنا يا سيدي قرأت في موقع على الإنترنت
بأناسٍ يطلبون لهم حارساً خاصاً ، فذهبت لهم
يا سيدي في هذا العنوان الذي وقعت بجانبه
تلك الحادثة ، وكان معي بعض الفتيان قد
تقدموا للعمل مثلي ، ولكنه وقع الاختيار علي ،
فاتصلوا بي لأذهب إليهم ومعهم أوراقهم كاملة ،
ولك يا سيدي أن تتأكد من كل هذا ، فقال له
الضابط:

أكمل وتحدث باختصار ، فأسرع عادل في
حديثه قائلاً:

ثم ذهبنا سوياً لهذا المكان الذي في هذا
العنوان ، وبعدها جاء هذا الاتصال من هذا
الشخص وقد قصوا علي ما كان بينهم وبينه
من خلافات بسبب أختهم ، فأمروني بالذهاب



إليه بالمال ولكي أجلب منه الصور
والفيديوهات ، ولم ألبث أن أخذت منه هذه
الأشياء إلا وقد أطلقت عليه هذه الرصاصة
ووقع بين يدي صريعاً ، وها أنا ذا يا سيدي
بين أيديكم ولا أعرف سوى ذلك ، فقال له
الضابط علاء وهو يتهد قائلاً:

اسمع يا عادل قل ما حدث وبعدها تكلم فأنت
خريج كلية حقوق كما في البطاقة فالطلقة هي
نفس الطلقة التي حشوت بها مسدسك ، وهذا
المجني عليه قد ضرب من مسافة قريبة ؛
وهذا تقرير المعمل الجنائي
فقال له عادل وهو يتعجب:

كيف ذلك؟



أنا لم أقتله ولم أخرج من مسدسي أي شيء ،
فقال الضابط وهو يضرب بقدمه مكتبه:

للأسف المسدس الذي قد أطلقت منه الطلقة في
هذا اليوم من نفس نوع المسدس؛ بل من هذا
تحديداً مما يدل على أنك أنت الفاعل ، فقال له
عادل وهو بهز رأسه:

كيف ذلك؟

فقال الضابط علاء: تعالى لنرى هذا القصر
وتلك الشقة التي تحكي عنها ، فذهب عادل
بصحبة الضابط علاء للشقة أولاً فصعدوا إلى
هناك فطرقوا الباب ، فخرجت لهم امرأة
وزوجها ، فقال لهما الضابط علاء:

أين شيماء وعلياء؟



قالت المرأة في تعجب:

من شيماء وعلياء؟

فقال الضابط علاء وهو ينظر لعادل ولتلك

المرأة:

معذرة... هذا المتهم يقول أن هذه الشقة

يقطنها بعض الناس من الخليج، فضحكت

المرأة والرجل وقال الرجل:

خليج من؟

نحن هنا منذ عشرة أعوام ولم نترك هذه الشقة

طرفه عين وهذا هو عقد الشقة هيا أحضريه يا

أم أحمد ، فدخلت المرأة وبعد عدة ثواني

خرجت بالعقد وأعطته للضابط ، فنظر إليه ثم

رده لهما ، ونظر لعادل ثم لهما وقال:



نحن آسفون على الإزعاج ، فقال عادل وهو
يصرخ:

هذا كذب ؛ هذا بهتان ؛ لقد أتيت إلى هنا
ودخلت هذه الشقة وجلست في تلك الغرفة
وتركت حقيبتى هنا وكان في الشقة كاميرات
فقال الضابط علاء لهذا الرجل وهو ينظر في
غور المنزل:

هل من الممكن أن ندخل الشقة لنتأكد من
كلامه ومن صحة حديثه ، فقال الرجل:
تفضلوا ، ثم أخذ الرجل يهتمهم بكلمات مثل:
كاميرات ؛ حقيبة ؛ خليج ، ما هذا يا رجل؟
ثم أخذ الضابط ينظر في الشقة فلا كاميرات ولا
حقيبة ولا أي شيء سوى أغراض هذه الأسرة



وما معها من أولاد ؛ وبعدها خرج الضابط
ومن معه وعادل في أغلاله والضابط علاء قال
للرجل:

أنا آسف ثانية ، فقال الرجل:

لا عليك نحن طوع أمر الشرطة ،

فمضى الضابط بعادل ومن معه من جنود ثم

قال له عادل:

والله هذه الشقة أتيت إليها البارحة ومن قبل
وكان فيها ما أزعج من أحداث وإن لم تصدقني
فهيا خذني لهذا القصر الذي ذكرته لكم ، فقال
الضابط وهو ينظر لعادل في تعجب ولكنه يحس
بشيء ما:



سنرى وأتمنى أن نجد ما تزعمه ، فانطلق
الضابط علاء للقصر المزعوم ومعه عادل
وأفراد الشرطة في سيارتهم التي تشبه نعش
الموتى ، فمن يستقلها يشعر بضيق في صدره
وبنهاية الدنيا وبأنه لا محال من المسجونين ،
فخيم الحزن والههم على رأس عادل وحدث
نفسه قائلاً:

لقد تحطمت حياتي ؛ لقد انتهيت ؛ ما هذا الذي
حدث لي ، لم أتخيل هذا الذي حدث ، ومن
هوؤلاء القوم ؟ أتراني وقعت في شرك بعض
المجرمين وأنا لا أعلم أماذا يحدث؟
يصل الضابط للقصر الذي وصفه عادل ؛ فنزل
من السيارة وقال لعادل:

أليس هذا هو القصر الذي أتيت إليه؟



فقال له عادل:

نعم ؛ إنه هو

فنزلوا من السيارة جميعاً ودخلوا هذا المكان
بعد أن قرعوا جرس الباب فوجدوه خالياً من
الناس ولا يوجد به سوى هذا البواب ، فنظر
عادل فلا يرى حمام سباحة ولا هذه الكلاب
الكبيرة التي كانت تملأ المكان ، فقال للبواب:

أين حمام السباحة؟

وأين تلك الكلاب الكبيرة؟

وأين شيماء وعلياء؟

وأين الرجل صاحب الشارب الكبير؟

فأخذ يتجول عادل ومعه الضابط في القصر فلم
يجد أي شيء مما ذكره عادل ؛ فسأل البواب:



لمن هذا المكان؟

فنطق البواب بسرعة:

إنه ملك لعضو مجلس النواب المعروف" رفعت

المنياوي" وهو الآن في فرنسا منذ عدة

أسابيع ، فقال له عادل بصوت أجش: هذا

ليس صحيحاً ؛ هذا كذب ؛ لقد كنت هنا بالأمس

وكانوا هنا كلهم وكان هنا حمام سباحة وبعض

الكلاب

فقال الضابط لأتباعه:

هيا اجلبوه لنذهب ، ثم نظر عادل للضابط قائلاً

له:

وهذه الرخصة التي كانت معي لهذا السلاح

ماذا عنها؟



فقال له الضابط علاء:

إنها سليمة والسلاح ملكك والرخصة مقيدة

باسمك منذ تسعة شهور

فتعجب عادل وقال:

كيف ذلك وأنا لم أعرفهم إلا هذا الأسبوع ، أنا

لم أملك مثل هذا السلاح من قبل ، فكيف يكون

لي رخصة باسمي منذ هذا الوقت؟

فنظر إليه الضابط وقال له:

هيا كي نذهب من هنا

فنظر له عادل وقال له:

وما رأيك في الصور والفيديوهات التي كانت

على الفلاشة

هل هي أيضاً هراء؟



فقال له الضابط وهو يمسح رأسه:

نعم هراء يا عادل ؛ لم نجد عليها سوى بعض
الأغاني الأجنبية والصور لبعض الحيوانات

فقال له عادل وقد تغير وجه واحمرت أوداجه:

ماذا تقول؟

فقال الضابط:

هذا ما حدث ، يا رجل القانون ، أنا أراك الآن
إما إنك عاتي الإجرام أو أحد المغفلين

فقال له عادل:

أقسم لك يا سيدي أنني بريء ولا أعرف سوى ما
ذكرت ولكن القرائن كلها ضدي ولا أملك سوى

تسليم أمري لله ، فقال الضابط وهو ينظر

لعادل:



لو تأكدت أنك بريء بنسبة عشرة في المائة
سأقف بجانبك ولن أتركك لوحدك ، فأنا أرى
سجلك الجنائي لا تشوبه شائبة وليس لك
سابقة إجرام وتاريخك لا تشوبه شائبة وشهادة
الناس بحسن سيرك وسلوكك وعدم التدخين أو
ممارسة أي شيء يجعلني أعيد تحقيقي وأبحث
لك عن مخرج.

- عاد عادل لمحبيه وأخبر صديقه حسام بما
حدث له ، فأتى إليه وأخبر أبوي عادل فأتيا له
وقص عادل لهما ما حدث ، فبكت الأم ودعى
له الأب والأم بأن تُبرأ ساحتها ، فهمس عادل
لصديقه حسام بكلمات فنصت له ، ثم قال له:



عليك بالحضور وقتما أذهب للنيابة وجهاز لي
ما يحملنا بسرعة لأنني سأهرب من هناك ،
فقال حسام في تعجبٍ:

كيف ذلك يا عادل لماذا ستهرب؟

فقال له عادل:

لقد اتخذت القرار ولن أرجع فيه ، إياك أن
تتأخر علي

فقال حسام:

وهو كذلك ، لن أتأخر ولن أتركك أبداً ؛ ثم
دخل عادل محبسه وبكت أمه لما حدث له قم
ظل في محبسه يتجرع ألم الظلم والحرمان من
الحرية ، فما أجمل من تلك النعمة ، فهناك
ثلاث نعم لو لم تملك غيرهم لكفوك وهم:



(الصحة والحرية والستر) ، فلا يعرف فضل
 هذه النعم إلا من حرم منها ، فالموت أسهل من
 سجن طويل أو غير محدود فالعيش في معترك
 السجون يشبه دخول الجحيم يوم الحشر
 لظلمته المعنوية وضيقه المادي والتحام البشر
 فيه جسدياً وسوء المعاملة فيه وما يلاقيه
 المسجون من عنتٍ وتكديرٍ وتكتيفٍ لحركاته
 كأنه قد شئت أركانه ، فتراه كالطير المسجون
 في قفص صغير يتململ ويتعذب حتى يخرج ،
 فلو جلد المرء مائة جلدة ويصبح من الأحرار
 أهون عليه من بقائه في السجن ولو لعامٍ ،
 فحكم النفس على النفس من الصعوبة بمكان
 فما بالك بتحكم الكثير في حريتك وحركاتك
 وسكناتك ، وما تصبح فيه تبات فيه ولا أي



متعة تحصل عليها ولا ما تشتهييه تفعله ، فالْمُ
 وحسرة وتجرع الذل والهوان في هذا المكان ،
 فسأل عادل أحد أقرانه في السجن عن قصته
 فقص له ما حدث وما كانت عليه حياته فحنَّ له
 وقربه منه وأتى له بطعام وشراب ، ولكنه لا
 يُقبل على الطعام إلا قليلاً ثم بعد ساعات خرج
 عادل للنيابة ليلاً ، أو ما يسمونه بالفترة
 المسائية فاستقل السيارة ليذهبوا به للنيابة
 والأغلال في يديه وفكرة الهرب تطارده وهو
 في السيارة ولكنه قال لنفسه:

لا لن أستطع الهروب من السيارة فتحلى
 بالصبر إلى أن تنزل فينزل من السيارة
 ويعرضوه على النيابة بعدما حرروه من أغلاله
 فوقف أمام وكيل النيابة ، وقال له بعدما سأله



93

عن اسمه وعمره ؛ ولماذا قتلت المجني عليه
"جاسر المحمدي؟"

فقال له عادل:

أنا لم أقتله ؛ أقسم بالله أنا لم أقتله ،

فقال له وكيل النيابة وهو ينظر في وجهه:

وبما تفسر وجودك لحظة قتله بجواره ومعك

هذا السلاح الذي قتل برصاصة شبيهة بما

يحويه سلاحك من طلقات؟

وأيضاً بما تفسر نقص رصاص مسدسك

لرصاصة مما فيه ، وبما تفسر تقرير المعمل

الجنائي بخروج رصاصة من مسدسك حديثة

أي في هذا اليوم ، واصابة المجني عليه من

مكان قريب؟



فقال عادل في صوت منخفض:

أنا سأقص عليك كل القصة ولك أن تصدق أو لا ، ولكنها الحقيقة وليس سواها ؛ فقص عادل قصته على وكيل النيابة كلها ولكنه لم يصدقه لما لديه من تقرير ومحضر للشرطة والقرائن التي بين يديه وشهادة الشهود الذين حضروا للإدلاء بشهادتهم ، فقص كل واحد منهم ما يدعي أنه شاهده وكأنهم كانوا يتربصون وقوع الحادث ،

فأمر وكيل النيابة بحبسه أربعة أيام على ذمة القضية والتجديد له في الحال ، فخرج عادل من النيابة وفكرة الهرب تشعل عقله ، ورأى حسام وصافحه وقال له في صوت خافت:

هيا استعد سأهرب الآن



فقال له حسام:

أنا في انتظارك بالخارج وعلى أهبة الاستعداد

؛ وسار عادل مع السجناء للخارج ، وقبل

الخروج قال له عادل:

أريد أن أدخل الحمام فإن بطني تؤلمني ، فنظر

إليه السجناء ويقول له:

هلا انتظرت حتى نصل للسجن فوضع عادل يده

على بطنه وقال له:

لا أستطيع ، وأخذ يدعي الألم والتوجع حتى

تركه يدخل الحمام ، فدخل عادل الحمام

وسرعان ما نظر للنوافذ فوجدها مفتوحة

وتسع جسمه ليهرب ، ففتح الصنبور ليخرج

الماء كأنه ما زال بالداخل ثم قفز من النافذة

ليكون خارج النياية وسرعان ما استقل



الدراجة البخارية مع حسام وهرب من أمام
النيابة بسرعة حتى لا تلحق به الشرطة
فيعيدونه لمحبسه ثانية ، وبحث عنه السجنان
في الحمام فلم يجده فنادى وصرخ ولكن لا
مجيب ، وذهبت الشرطة لمنزل أبويه فسألونه
عنه هناك فلم يجدونه ، وذهب حسام به لمكان
بالقرب من هذا المنطقة حتى يصلا لهؤلاء
اللصوص والأوغاد حتى يظهر براءته.



الفصل الرابع

- علم الضابط علاء الذي كان يتولى القضية بهروبه ففطن إلى أن عادل سيبحث عن هؤلاء الناس ولكنه لا يعلم أين هم ولا أين سيتجه عادل أو من أين سيبدأ ولكنه أمر بمراقبة منزله والأماكن التي كان يتردد عليها ؛ فدخل عادل الشقة التي أعدها حسام له وقال له لا تخرج ولا تأتي بأي شيء من الخارج وسأفعل لك كل ما تريده ؛ فحسام من عائلة ثرية ويمتلك سيارة وعدة عقارات ولديه بعض الأعمال التي يديرها لوالده ومن أخلص الأصدقاء لعادل وفي المقابل يحبه عادل وفعل من أجله في الماضي الكثير ، فعندما كانا في الثانوية العامة وأثناء خروجهما تشاجر مع حسام ثلاثة أولاد ممن



معهم في نفس المدرسة وعلى غير العادة في
الشجار انهالوا عليه ضرباً وهو يمشي بجوار
عادل ، فأسرع عادل بضربهم والدفاع عنه بكل
قوته كأنه جن جنانه وما زال يضربهم حتى
أثخنهم بالجراح وفروا من أمامهما وهم في
منظر رثٍ وقد مزقت ثيابهم ، ولا ينسى حسام
يوم أن كانا في هذا المصيف المتواجد في
اسكندرية وكانا يلعبا ويمرحا وأثناء نزولهما
للسباحة تعرض حسام للغرق وكاد أن يموت
عندما أخذ يسبح لمسافة طويلة داخل البحر
وعادل ينادي عليه ، فلما شاهده عادل هكذا
وقد أوشك على الغرق أسرع نحوه بكل ما
أوتي من قوة وجذبه للخارج وهو يحمله وقد
كان بينه وبين الموت لحظات ، تلك المواقف لا



تنسى لمن يخلص لصديقه ولمن يملك الوفاء ،
فتلك الصفات صارت عملة نادرة بين البشر ،
إلا ما رحم الله سبحانه وتعالى ؛ فأصوات
البشر كصوت حفيف الشجر لا تسكن عبرة
الطفل الذي فقد أمه ما دام يذكرها ، فالطفل
اليetim تراه يمشي بين الأطفال مكسور الجناح
يجلس وحده طوال الوقت ولا يلعب بتلك الدمية
التي تخلو من روح أو حتى خوار ، فالأيام
ككتاب مغلق كل يوم تفتح منه صفحة لتقرأها
أو لتقرأ بعضها ، فبين السطور تجد آهات
وأحزان وترى أيضاً ضحكات وبعض المرح
والأفراح ، إياك أن تعبت مع الدنيا فأنيابها
تغوص في غور اللحم لتسممه حتى تموت دون
دواء ، فلا تتخذ بصفاء السماء وقت الضحى



فقد تحمل بعد الظهيرة ريح عاد أو صاعقة
ثمود ، آلاف البشر كانوا قبلنا وعاشوا على
تلك الأرض التي ستشهد على قطرة دم أريقت
عليها وستكلم بما فعلوه بنو آدم في بعضهم
البعض ، فأنا أشاهد منظر الأشجار الملتفة
والتي تتحافّ أوراقها في فصل الخريف عندما
تتطاير عبر الهواء المحمل بكثبان الرمال
الصغيرة وغبار الأتربة الملاقة من عاتق
الزمن لتعوق حركة مرور تلك الكائنات الدقيقة
من خلال فوهة الليالي المزدهمة بتلك الأزمات
المتلاحقة التي يتبع بعضها بعضاً لتكون بين
الفيافي والسهول ينابيع تتدفق منها بعض
السائل الذي يشبه لون الطين الذي يخرج من
فوهة السد المتواجد وسط النهر ، صوت



101

السلام العقيم صمّ آذان الشيخ المسن الذي يتكأ
على منسأته التي تشبه رأس الثعبان، فلا
تجلس فوق جحر النمل فكل النمل سيأخذك أنت
الجحر وتقوم ولست كما قدمت يا مسكين.
-مكث عادل بمفرده بعدما تركه حسام وقد
أحضر له بعض الطعام والشراب وما يلزمه من
أشياء يحتاجها فهم على وجهه يرتب أوراقه
ليستدل على هؤلاء الأوغاد، ولكن عقله كاد
ينفجر، فأخذ يفكر كيف يجد هؤلاء وأين هم
الآن ولكنه لم يهتدي لأي شيء، ولكنه بعد
تفكير عميق وجهد جعله يتصدع، فأتاه ما لم
يكن يتخيله، فقد جعل صديقه حسام يأتي له
بهاتفٍ آخر غير الذي كان معه ولكنه يحمل



شريحة جديدة ، فخطرت له فكرة أن يجدد
نفس الشريحة الأولى لعل أحدهم أن يتصل به
فاتصل عادل بحسام وكان النهار قد أشرق
والساعة تقترب من الساعة صباحاً ، فأجابه
حسام وهو لم ينتبه من نومه بعد، فقال له:

ماذا حدث يا عادل؟

فقال عادل في لهفة:

أنا آسف يا حسام على ازعاجك ، ولكنه خطرت
لي خاطرة وهي أن أجدد شريحة الاتصال
القديمة ، فقال له حسام وهو يتعجب قائلاً له:

ولماذا يا عادل؟

فقال له عادل بلهفة:



لعل أحدهم يتصل بي فأصل لهم عبر الهاتف
هذا ، فقال له حسام وهو يهدئه:

وهو كذلك سأكون عندك بعد ساعة واحدة
ومعي شريحتك القديمة ، هل تحتاج مني أي
شيء آخر؟

فقال له عادل لا شكراً جزيلاً يا حسام ، فمرت
الساعة والنصف واتصل عادل ثانية بحسام
فهو يتعجل هذه الخطوة لما يظن بها من أمل
كبير ؛ فكلمه حسام وقال له:

انتظر يا عادل فالمحلات لم تكن مفتوحة الآن ؛
اصبر نصف ساعة وسأكون معك ، فأنا
بجوارك في هذه المنطقة وأجلس على قهوة
وأنا أنتظر هذا المحل ليفتح ، فأنت تعرف أن
تلك المحلات لا تفتح إلا بعد التاسعة صباحاً



فقال له عادل:

أنا في انتظارك يا حسام لا تتأخر علي ،
وسرعان ما مضت النصف ساعة وأتى حسام
ومعه الشريحة وبعض الطعام لعادل ، فأخذ
عادل الشريحة ووضعها في الهاتف على الفور
وقام بفتح الهاتف فوجد عشرات الرسائل من
رقم مجهول ، فنظر لحسام وقال له:

من صاحب هذا الرقم يا ترى؟

هيا اعطني الرقم وسأبحث لك عن اسم صاحبه
، فمعي هذا البرنامج الذي يكشف هوية رقم
المتصل ، فأخذ حسام الرقم واتصل به فظهر له
اسم جاسر ، أي نفس الاسم الذي يحمله
القتيل الذي اتهم عادل في قتله ، فأجابه قائلاً:

من على الهاتف؟



فسأله حسام:

أنت من؟

فرقمك على هاتفي الآخر وقد اتصلت علي أكثر

من مرة ، فقال صاحب الرقم:

أنا لم أتصل وهيا اغلق هاتفك حتى لا أسمعك

ما لا يسرك ، فأغلق هاتفه ولم يصل عادل لأي

شيء ، فقام حسام للطعام فأحضره وقربه من

عادل وهو يقول له:

هيا تعالى نأكل أولاً ثم بعدها يأتي الفرج ،

فتركا الهاتف وجلسا ليأكلا وأثناء الطعام تأتي

مكالمة لعادل على هاتفه ، فأسرع عادل

وأمسك بالهاتف ونظر للرقم فوجده نفس الرقم

فرد عليه قائلاً:



من المتصل؟

فقال له المتحدث:

هل أنت عادل؟

فرجع عادل صوته وقال:

من المتحدث؟

فقال له:

أعرف أنك هربت من السجن وأعلم عنك كل شيء ، وأعرف مكانك ، فقد راقبتك منذ هروبك من النيابة إلى الآن وأريد أن أراك لمصلحتك أنت ولكوني أعلم عن القضية الكثير ، فسأله عادل:

وكيف أجدك؟

فقال له:



أنا سأجدها ولكن عليك الخروج والذهاب لهذا

العنوان

فسأله عادل:

أين قل العنوان؟

فقال له:

ستذهب لهذا الملهى الليلي المتواجد في هذا
العنوان...) ، ثم أعطاه العنوان وأغلق الهاتف
، ثم أخذ عادل ينظر لحسام في استغراب فقال

له حسام:

ماذا قال لك هذا الرجل؟

فقال عادل:

لقد قال لي:



إنه يعلم عني الكثير ويراقبني منذ هربت وطلب

مني مقابلته ليلاً في ملهى ليلى وها هو

(العنوان.....)

فطمئنه حسام وقال له:

وهو كذلك سنذهب له هذه الليلة وسنأخذ كل

الاحتياطات اللازمة لذلك ؛ ولكن دعني الآن

أدير شأني وعملي وسأتفرغ لك عندما يحين

الوقت لهذا وسنذهب بالسيارة خاصتي

وسيكون معنا ما تريد من سلاح حتى لا

يخدعنا هذا الرجل

فقال له عادل:

كما يحلوا لك ، هيا اذهب أنت الآن إلى عملك

وسوف انتظرك بالليل حتى تأتي ونذهب سوياً

، فقال له حسام:



ولكن لا تخرج من هنا حتى آتيك ولا تثق في
كلام هذا الرجل فلو كان يعلم مكانك لآتى إليك
هنا ولكنه يحاول أن يهزك ويلعب بك حتى
تذهب إليه وأنت مضطرب فيملي عليك ما يريد
، فقال له عادل:

وهو كذلك ، لا تخشى علي ، هيا انطلق لعمرك
، هيا ، فذهب حسام وترك عادل بمفرده ليحدث
نفسه فقال لها:

من هذا الرجل وماذا يريد مني؟

هل هو شرطي أماذا يكون؟

هل سأعيش يا ربي في هذا لكثير؟

لا يحق لي أن أهدأ ما لم أصل لهؤلاء الأوغاد

الذين غرروا بي وألقوني في غياهب السجن



ووضعوا رقبتى داخل حبل المشنقة لأتجرع
الموت ولكن عن ذنب لم أفعله وجرم لم تكسبه
يдаي ، ولكنها الحياة تجارب ومآسى ، لقد
سئمت من كلام الحمقى الذي تردده هذا ؛ هيا
قم وانتفض من مكانك ولا ترضى بمكان
العاجزين ، في مقدورك أن تثبت براءتك بيدك
هيا تحرك ؛ ولكن أين أذهب؟

هيا اذهب لهذه الشقة أو هذا القصر واعرف
من صاحب هذه الأماكن ولماذا كذب من كانوا
هناك بعد الحادثة ؛ فتجهز عادل وذهب إلى
هناك وتذكر قول حسام له بالألا يخرج ولكنه
أصر على الخروج ، وارتدى عادل بعض
الثياب التي يتنكر فيها وذهب لهذه الشقة التي
ذهب لها أول مرة والتي قتل بجوارها جاسر ،



وذهب هناك واقترب من المكان ولكنه يرى
بعض الناس الذين يشبهون أفراد الشرطة وقد
عرفهم من حذاءهم العسكري الأسود والموحد
وهيئتهم التي تبدوا للأبله أنهم شرطة ، فرجع
عادل وعلم أن الشقة والقصر مراقبة من
الشرطة ، لأنهم يقولون:

(إن الجاني يحوم حول جريمته) ، فمن هذا
المنطلق يعملون وبينما هو في طريقه للمنزل
أو محل سكنه تأتيه مكالمة من هذا الشخص
ثانية ، فيفتح عادل ويرد عليه:

من المتصل؟

المتحدث:

ألم أقل لك سنتقابل بالليل ؛ لماذا خرجت الآن؟



112

ألا تخشى على نفسك من الشرطة وأن تزج في

السجن ثانية دون أن تعرف من هؤلاء الذين

فعلوا بك هذا؟

فقال له عادل في صوت يكسوه الغضب:

أين أنت؟

كيف عرفت أنني هنا؟

فقال المتحدث:

ألم أقل لك أنني أعرف الكثير وسوف أساعدك

وهذا ليس من أجلك ولكن من أجل صديقي

جاسر

فقال له عادل:

أنت صديقه فعلاً؟

فقال المتحدث:



113

نعم وأعرف أنك لست القاتل حتى تطمئن ولا
تخشى مني ، فلو كنت أثق في أنك القاتل لما
كنت على قيد الحياة الآن ؛ وأنا أستطيع أن
أنتقم لصديقي بمفردي ولكن حتى نتعاون
وتحقق براءتك ؛ أفهمت؟

قال له عادل:

وهو كذلك ؛ سألقاك بالليل ولكن سيكون معي
أحد أصدقائي الذين أثق بهم

فقال له المتحدث:

أتقصد حسام فأنا أعرفه وأعلم عنكما الكثير ،
فقال له عادل:

وتعلم أن لي هذا الصديق أيضاً؟

وماذا تعرف ثانية؟



فضحك المتحدث وقال له:

ستعرف أنت حين تقابلني كل شيء ولكن عليك
بالحذر وعدم الثقة بأحد ولو كان حسام ولا
سيما في الأيام المقبلة يا عادل هيا سلام.

-أغلق المتحدث الهاتف ومضى عادل لمكانه
وهو في ذهول لما سمعه وظل يحدث نفسه
حتى وصل الشقة وظل هناك بمفرده يحدث
نفسه:

أنا أسير في طريق مغلق لا حدود له ، تتساب
الورقات الخضراء كأنها سنفونية ذات لحن براق
في فصل الشتاء حيث تغيير الكون وبهجته فما
أجمل الشتاء واللون الأزرق في السماء حتى
ليلها مفعم بالذكريات والأنس وهدوء السحر
الذي يتنفس أحضان الشوق ولوعة الأيام التي



تسكن داخل السنين لتضع في جعبتها أنين
الماضي وحشرة الموت لينبعث منها عطر
الندى ونسمات الفجر وهو يقبل ويسبقه صوت
القرآن قبله ذلك الصوت الذي يأخذ القلب أخذاً
، فكم كنت أعيش تلك اللحظات التي تبعث
الرعشة في القلب كل ليلة عندما أذهب قبل
صلاة الفجر للمسجد وأسمع تلك الأصوات التي
تخرج من الجنة مثل الشيخ الحصري
والمنشاوي والطبلاوي وغيرهم من القراء
الذين قرأوا القرآن بأرواحهم الذكية وليس
بأصواتهم وألسنتهم ، فظلمة الليل كانت في
الماضي تشير إلى الحنين والدفء والعيش في
الذكريات ووجودك في عالم خيالي طوال الليل
ولا سيما لو خرجت ليلاً بين الحقول أو بجانب



البحر ومعك أحد الناس الذين تحبهم وتعشقهم
فتفترش رمال الشاطئ المظلم الذي يضيئه هذا
القمر صاحب الضوء الخافت والذي يجعل الليل
أجمل من السحر في عيش الخيال ، فالعيش
مع حبيب يشاركك أحلامك وتكون معه في كل
خطوة وأنت يثقلك الشوق والرغبة وخاصة لو
كنت قد حرمت من أنفاس محبوبك وسمع
نبضات قلبه وهو يردد اسمك ، ولكني أرى كل
محبوب ينسى محبوبه لو ابتعد عنه أو هجره
أو جفاه أو وجد من هو أفضل منه ، أما حب
الله لا يساويه أي حب ، فالله يسمع ويرى
ويعطي لمن يعطي الأضعاف الكثيرة وإذا تقرب
من يحبه شبراً تقرب منه ذراعاً ولو ذكرته في
ملا ذكرك في السموات العلى وافتخر بك ودافع



عنك وكان معك في منامك ويقظتك وفي الآخرة

أسكنك جنته ودار مقامته وأعطاك من كل

الخيرات ومتعك بكل المسرات ، تلك هي

الحقيقة التي نغفل عنها ونتجاهلها ونعيش من

أجل دنيا قدرة ولا تساوي مثقال ذرة من دمة

عين فتهافت قطرات الندى من أعلى الشجر

لتنزل على هذه اليرقات الصغيرة لترقص طرباً

وتتمايل كالطفل الصغير وهو يغازل أمه كي

يضحكها ويتلثم فلا يقدر أن يقول لها:

حضنك أغلى ما في الوجود يا أمي ، كما كان

الماضي بكل لغات الحمقى يحوي بعض الصور

التي تبدوا للناس جميلة ولكنها كانت وما زالت

تترنح فوق ذلك الأفق البعيد الذي يأوي صغار

البراغيث التي تقفز عشرات السنتيمترات التي



تفوق حجمها ، فكما تكون مع الناس يكونون
معك ، فلا تحتقر أي إنسان لملابسه المليئة
بالبقع أو الرقع لأنه ما فعل ذلك من تلقاء نفسه
، بل آفات الدنيا تتدافع على كل وضع وكل
بسيط ومن ليس له تلك الأيدي ليدافع عن
نفسه ، فرب عابثة في الحفر قاطنة قصراً ،
وما تدري لعل ذلك من الخير ومن حسنات
الدنيا التي تعطي أصحاب القلوب الضعيفة
آلاف الدراهم لبيعثرها على أثناء المومسات
وأرحام الفتيات اللواتي تركن شرفهن في بيوت
آبائهن ورحلن دون أن يقلن شيئاً حتى لمن
ربتها صغيرة وحملتها نطفة وجعلت منها فتاة
يافعة جميلة لتترك نفسها العوبة في أيدي
السكرارى وأرباب المخدرات ليرضعن الخبال



والأمراض التي تثبت في تضاريس الرجال
الذين ينجبون الخنا والعفن ووتن الجيف التي
تتطاير وسط رياح الماضي لتبعثر ما ينبته
الحاضر وتقتل كل فسيلة كانت تثبت من خمس
سنوات داخل هذا الإناء المصنوع من الفخار
الذي على هيئة كوب السقاة ، صورة هذا
الصبي الذي يبيع البالون داخل مشفى لمن
العجائب الثمانية ولكنه يريد أن يتكسب وأن
يبيع في أي مكان ولو على القبور أو بين ركام
الموتى ، فهذا الأمر من قبل ولكن ما يضحك
وجود شحاذة بين صفوف الخبز تعلق في ما
يقع من تلك المرأة التي تركت أطفالها في
المنزل وحدهم ولم تغسل وجهها وذهبت تأتي
للأطفال بهذا الخبز ليستيقظوا فيجدوا رغيف



الخبز وقرص الطعمية الذي أصبح كمنهج
الثانوية العامة الذي لا يتغير ولا يستبدل ، أما
سبب ما فعله ذاك الرجل الذي يمشي في
الطرقات يعني ويدخن ولم يستحم منذ عشرة
أعوام فهو تلك الفتاة الشقراء صاحبة الثوب
الأحمر الذي يجعل الديك الرومي ينق ويصيح
ويزار من مشهدها ، فلم تبالي بوجوده ولم
تشعر بأنفاسه الملتهبة ونبض تضاريسه التي
عصفتها الشهوة ، فنظرت إليه نظرة قتلتها بها
ثم ألقته في مستنقع الجنون غير نادمة عليه ،
وهو كالأحمق الذي عمي وضلّ الطريق ولم
يرى سواها في الدنيا ، فالعجزة في الدنيا كثر ،
فما نتمناه ليس من السهل تحقيقه ، لأن
المساعي جزء من بعض قدر الله ، فلا ينعم



121

بالحياة سوى من نحت في الصخر، أو من كان له بعض الإرث ، أو من سرق ونهب أو وجد بعض الكنوز ، ولكن السمك يبيض في الماء ويتكاثر في نفس الماء ، عادة لا يهتم بعض الكائنات، فهل تأتي الرياح على كومة القش التي وضعت عليها فراخها وهل تبقى أم تذهب أدراج الرياح؟

- أتى الليل وأتى حسام بسيارته فاتصل بعادل لينزل له ، فأسرع عادل بالنزول واستقلا السيارة ليذهبا إلى هذا الملهى الليلي ، وفي السيارة تحدث عادل مع حسام عن الذي حدث معه اليوم وكيف هو قد سار على أول الطريق الذي سيوصله للجاني الحقيقي ، فقال له
حسام:



ولماذا نزلت من مكانك؟

ألم تخش من الشرطة ومن أي أحد يوقع بك؟

فقال له عادل:

لقد توخيت الحذر يا صديقي ولم أسير هكذا في

مأمن ، فقال له حسام وهو يبتسم:

لا عليك يا عادل سنمضي لهذا الرجل ما دام

هو كان بمقدوره أن يوقعك في فخ ما ولم يفعل

هذا ، وصلا بالسيارة لهذا الملهى الليلي ، فلقد

أخذا حذرهما والتفت عادل هنا وهناك قبل

دخوله هذا المكان وقبل أن يلج باب الملهى إذا

برجل فارع الطول أحمر البشرة وشعر شاربه

ولحيته كثيفة ، فنادى على عادل من خارج

المكان وهو في سيارته الكبيرة الحجم فرجع

كليهما إليه وقال له عادل:



من أنت؟

فقال له:

أنا ممدوح ؛ أنا من كنت أكلمك عبر الهاتف
وأنا صديق جاسر رحمه الله ، فقال له حسام
وهو ينظر إليه:

ألم تطلب مقابلتنا داخل الملهى؟

فلماذا تعجلت لقاءنا هنا؟

فقال له ممدوح: أردت أن أتحدث معكما سوياً
قبل دخول الملهى ، فحثه عادل وقال له:
هيا انظر أين سنجلس ، فقال له ممدوح وهو
يغمز لهما قائلاً:

في سيارتكم، فالذي أقوله من الأهمية بمكان،
فقال له حسام:



هيا ندخل السيارة إذن ، فأشار لهما عادل

وقال:

هيا بنا للسيارة لنرى ماذا سيحدث ، فدخل

الجميع داخل السيارة وكانهم سيذهبون بها ،

وتحرك حسام إلى الأمام قليلاً ليبتعد عن هذا

الملهي كما أمره ممدوح ؛ فوقف حسام ولفت

رأسه هو وعادل ناحية ممدوح ، وقال له

هيا تحدث الآن ، فنظر لهما ممدوح وقال لهما:

أنصتا إلي ، فالذي سأقوله لا تتسياه أبداً ،

فنطق حسام وقال له في تجهم:

تفضل قل ما عندك فكلنا آذان صاغية ، فاعتدل

ممدوح وقال لهما:



125

أنا صديق جاسر الوحيد ومن أخلص الناس له
وأعلم عنه كل صغيرة وكبيرة منذ صغره
وأعلم من قتله وسأقتص له من القاتل ، ولكن
قبل أن أقتلهم لابد أن يأتي حقك أولاً ، فقال له
عادل:

ولماذا أنت تهتم لأمرى؟

فقال له:

لأنك همزة وصل بيني وبينهم ، فقال عادل:

ومن هؤلاء الخونة وما القصة إذن؟

فقال له ممدوح:

سأقص عليكما القصة بالتفصيل ولكن على

عجل:



126

صديقي جاسر كان يعمل مع أحد الناس الذين يتاجرون في المخدرات وهذا الرجل لم نره أبداً ، ولكننا رأينا هذا الرجل الذي شاهدته أنت يا عادل في الشقة وهاتان المرأتان ، أما عن الرجل فنعرفه باسم أبو جبل أو رشيد وقد علمت مكانه وعرفت عنه كل شيء وها هو في الملهى الآن ، فحاول عادل الخروج من السيارة وهو يقول:

أين هو؟

سأدخل له الآن وأحضره ، فمنعه ممدوح وقال له:

لا تفعل انتظر ، هذا ما توقعته بالضبط ، من أجل ذلك لم أدخل بكما للداخل مباشرة ، حتى



أشرح لكما الخطة التي سنتخذها معه ، فقال له

حسام:

هيا قل ما عندك واختصر ، فقال ممدوح:

سوف يدخل حسام فهو لا يعرفه ويقول له إن امرأة في الخارج تريدك ، وسيخرج على الفور لأنه يحب النساء ، ثم دعوا الباقي علي ، فنزل الجميع من السيارة وذهب حسام لجلبه للخارج وممدوح قد أحضر فتاة جميلة ونادها لتجلس في سيارة حسام وأجلسها على كرسي السائق وهما خلف السيارة قد أدارا وجههما ، فخرج حسام ومعه أبو جبل ونادته تلك الفتاة الجميلة من السيارة ، فذهب إليها وهو يسيل لعابه عليها ، فنظر إليها من النافذة وقال لها:



أنا رهن أمرك يا سيدتي ، هيا قولي لي ماذا

تريدين؟

فنظرت له الفتاة وقالت له:

هيا اركب وستعرف كل شيء في المنزل ، إنه

ليس ببعيد، وتبتسم الرجل ابتسامة عريضة

وغمزت له بعينيها ، فهَمَّ بأن يدخل السيارة ،

فقام بفتح الباب ولكنها أغلقتة من الداخل حتى

لا يجلس بجوارها ، فقالت له:

هيا اجلس بالخلف لأن الباب يحتاج لبعض

الإصلاح ، فدخل السيارة من الباب الخلفي

وقبل أن يغلق الباب جلس بجواره ممدوح وفي

الجانب الآخر عادل ووضعها في خصره الأسلحة

، ثم فتحت الباب لحسام ليجلس بجانبها ، وقال

لها ممدوح:



هيا انطقي يا فتاة

فذهبوا بالسيارة من أمام الملهى وهو يصرخ:

أين ستذهبون بي؟

من أنتم؟

فقال له عادل:

نحن قدرك أيها الجبان القدر ، أنسييتي بهذه
السرعة بعدما أوقعتموني في فخكم هذا وقتلتم
جاسر بكل سهولة هكذا ؛ فقال له ممدوح:

لا تتكلم بكلمة أخرى وإلا قتلتك هنا ، حسابنا
عندما نصل ؛ فوصلت السيارة للمكان الذي
يريدونه وهو من الأماكن النائبة التي تقع في
أطراف القاهرة ، فدخلوا به للداخل، ثم
أخرجوه من السيارة ليأخذوه للداخل وهو يسير



معهم بلا مقاومة منه تذكر وأغلقوا أبواب
السيارة وباب المنزل وأنت الفتاة بالقيود
والأغلال وقيوده بها ووضعوه على مقعد داخل
المكان ، ثم أتى ممدوح بشيء يشبه المقص
الحديدي ، وأعد الكاميرات لتصوير ما يحدث
وتسجيل كل شيء له صوتاً وصورة ، فقال له
ممدوح:

لو قلت لنا ما نريد تركناك ، وإلا فسأقص

أصابعك واحداً تلو الآخر، هيا قل:

من المسؤول عن قتل جاسر؟

فقال له:

لا أعرف أي شيء ، فأتي ممدوح بهذا

المقص وهم بقص إصبعه ، فصرخ وقال:



لا ؛ لا ، فأعاد عليه السؤال ثانية:

من قتل جاسر؟

فأعاد بنفس الإجابة ثانية:

لا أعرف ؛ لا أعرف أي شيء ، فوضع ممدوح

إصبعه في هذه الآلة وقص إصبعه ، فنزفت

منه الدماء ، فصرخ بألم شديد، ولكن ممدوح

لم يتركه ، فأعاد عليه السؤال مرة أخرى ،

ولكنه أجاب بنفس الإجابة وقال:

لا أعرف أي شيء، فأراد ممدوح أن يقطع

الإصبع الثاني ، فصرخ على الفور:

وقال سأعترف بكل ما تريدونه مني ، فهناك

من قتل جاسر وهو قاتلٌ مأجورٌ ولا أعرف



132

مكانه ، أما من خلف ذلك فلا أعرف سوى هذه
المرأة التي تدعى شيماء ، فقال له عادل:

وأين مكانها؟

وأريدك أن تقص كل ما حدث بالضبط كما كان
، وإلا والله قتلتك الآن ، فضربه ممدوح بقدمه
في بطنه وقال له:

هيا قل هل هذه المرأة هي أقل منزلة من علياء
فهناك من يعلوها وهذا هو الرجل الكبير
والذي يدير كل هذا ولكني لم أراه بل سمعت
عنه

فقال له عادل:

هيا قل أين نجدها الآن؟

فقال وهو يتألم:



إنها في لبنان الآن وستأتي بعد غدٍ ، وسنتقابل
سويًا حين تأتي في هذا العنوان ، ثم أعطاهم
العنوان وما زال الدم يقطر منه ، فاستدعى
ممدوح هذا الطبيب ليعالجه وقد أبقى عليه
لحين أن تأتي هذه المرأة التي تدعى شيماء ،
فجلس الجميع بالداخل وقد وضعوا هذا الرجل
في غرفة من غرف المنزل الكبير، ونظر
ممدوح لعادل وقال له:

ألم أقل لك إنها سهلة ولو أردت أن أقتله
بمفردي لفعلت ، وها أنا الآن تأكدت من
براءتك وخلو ساحتك من دمه ، فقال له حسام
بعدهما وقف:

سأذهب أنا الآن وسأعود لكم في الغد ، فقال
لهم ممدوح بعدما قام من على المقعد:



خذني معك حتى أعود بسيارتي فقد تركتها
هناك عند الملهى وحتى أحضر بعض الجعة
والطعام لنا ، فقام عادل بعدما اقترب من حسام
وقال له:

وهذه الشقة ماذا سنفعل بها؟

فقال له ممدوح:

لا عليك فأنا أحتاجها وسأجلب لك أغراضك
وتبقى هنا حتى نثبت براءتك ونأخذ حق جاسر
ونكشف هؤلاء للشرطة ونعرف من هو هذا
الشخص الذي يدير هؤلاء الناس ، وأنت هنا
في مأمن ولا تفكر الشرطة في الوصول إلى
هنا ، فانطلق حسام ومعه ممدوح وتركوا عادل
ومعه تلك الفتاة ، فنظر عادل لها وهي تجلس
وكأنه لم يحدث أي شيء ، فلم تتأثر بما حدث



135

ولم يهز لها هذا كله شعرة في رأسها ، فقال

لها عادل:

ما اسمك؟

فنظرت إليه وكأنها لم تكن معه وقالت له:

نعم ؛ إسمي ميرفت ، وأنت فقال لها:

أدعى عادل ، ولكن قولي لي:

ماذا تفعلين هنا مع ممدوح؟

فقالت له وهي تنظر في عيني عادل:

أنا وهو إخوة ولكننا لسنا أشقاء ، فهو من أم

وأنا من أم أخرى ، فقال لها:

وهل أنت متزوجة من شخص ما؟

فقالت له وهي تحملق فيه:



136

لا ؛ لست متزوجة ولكني كنت شبه مخطوبة
لجاسر، فنحن كنا نحب بعضنا منذ الصغر لأنه
ابن خالتي ، فقد نشأنا مع بعض وترينا
سوياً

فقال لها عادل:

لم أقصد مضايقتك بهذه الأسئلة، فأنا لم أقصد

فقالت له ميرفت:

لا عليك، فقد كنت أبغضك قبل أن أراك وأعرف
الحقيقة، فقد كنت أحسبك أنك أنت القاتل حتى
اتضح لي براءتك وكبرت في نظري لما
علمت عنك هذا كله ، فهينتك لا تدل على أنك
من المجرمين أو من تلك الفئة التي اعتدنا
عليها منذ زمن ، فهم أرباب السوابق والسوء
، فقال لها عادل:



دعك مني الآن وهيا اذهبي لهذا الرجل وضعي
له بعض الطعام والشراب واستعجلي هذا
الطبيب لإسعافه وعلاجه قبل أن يموت ولا
نعثر على الذين خلفه ممن دبروا ما حدث ،
فذهب ميرفت إليه ووضعت له بعض الطعام فلم
يأكل ، ولكنه طلب منها الماء وبعض الخمر ،
فأعطته ما يريد وأقبل الطبيب ودخل عنده
لعلاجه ، فأعطاه بعض المخدر وهذب بتره
الذي حدث له وأحاكه حتى لا ينزف وظهر
جرحه وأوصى ميرفت ببعض الدواء له
وانصرف ، ثم جلست ميرفت بجانب عادل في
سكون الليل وهدوء الأجواء من حولهما وكان
أرواحهما تتعانقا وتتجاذبا ، فنظرت في عيني
عادل ، وفي وجهه ، فهو يتمتع بوجه جذاب



138

وعين خلابة وهيئة مبهرة ، وهي أيضاً تتمتع
بجمال الوجه ونضارة العين ودقة الملامح
وبجسد ينم عن جمال وجسد كأنه قد رسم بيد
فنان وبقدر معلوم ؛

فقال لها عادل:

لماذا تأخر ممدوح إلى الآن يا ميرفت؟

فقالت له ميرفت:

إنه كالعادة فهو يأتي في الصباح ويظل نائماً
طوال اليوم ، فلن يأتي الآن إلا في الصباح ،
فنظر عادل حوله في المكان وقال لها:

أين سننام إذن يا ميرفت؟

فقالت له:



في الداخل كل ما تحتاجه من سرير وكل شيء

، فقال لها عادل:

سأذهب للداخل فأنا متعب البدن ، تتأببت

ميرفت ووضعت يدها على فيها وقالت:

وأنا أيضاً سأدخل لأخذ للنوم فقد تعبت ، دخل

عادل للغرفة ودخلت معه ميرفت فعرفته

موضع الحمام وموضع نومه وأعدت له ذلك

كله من تجهيز الماء واللباس لأنه لا يملك ما

يلبسه الآن ونظفت له السرير ، فدخل عادل

الحمام وارتنى ما أعدته له من ملابس نظيفة

لم تلبس من قبل ، فقالت له:

إن هذه الملابس كنت اشتريتها لجاسر ولم

يبقى ليرتديها وها هي من نصيبك أنت ،

فابتسم عادل وكذلك هي كأن الدنيا أقبلت



عليها وتتسى ما كانت فيه من حزن وهم ،
فالنسيان نعمة من الله سبحانه وتعالى ، فكم
من مصيبة كادت أن تخلع قلب وعقل صاحبها
وبعد أيام تكون كأنها لم تكن ، فسرعان ما
ينسى المرء أحب الناس له، ولولا ذلك لمات
المرء كمداً وحزناً من شدة ما يلاقيه من فقد
لأعز ما لديه وأحب مخلوق لقلبه ، فالموت
وإن كان يباعد الناس إلا إنه في باطنه رحمة
ما ، فلولا الموت لتعفن الإنسان في الحياة وما
أقدرها من حياة ، لا خير فيها ولا عيش يهنئ
به ذو لب عليم ، فكما قال "أخيليس" : (إن
الآلهة يحسدوننا لأننا فانون وهذا حسب
معتقده وظنه) ولكنه يتحدث عن الخلود
والمكوث في هذه الدنيا وما بها من منغصات



وأعباء وأمراض وبلايا تجعل المرء يتمنى
الموت ولا سيّما حين يكبر ويتقدم به العمر أو
يضعف ولا يقوى على مجابهة الحياة والسير
مع الناس في رحلتهم الدنيوية إلى القبر، ولو
اتعظ العبد وعلم أن ما بقي من عمره إلا عدة
أيام أو شهور أو سنوات لما حزن على أحد
لأنه سيلحق به عما قريب، ولكنه الفراق
والبعد وتخيل الحبيب بعد أن فارق الحياة ، فلن
تجد في الدنيا سوى نتن وجيف ، فكل ما فيها
عدم ووباء بل شلاء تقتل تخنق كل لبيب يعقل
ولا ترحم أبداً سراء ، ولكن فيها كنوز الخير
وجرف السيل ونهر ينضح بكل سبيل ، أليس
فيها القرآن ومساجد ربي الرحمن وصلاة



تسمو بالعبد ودعاء وبكاء لله ، لقد بكى بن

عمر على فراق الدنيا ؛ فقالوا له:

ما يبكيك يا بن عمر؟

فقال :

أبكي على قيام الليل

يبكي على أصعب تكليف وأعظم تشریف إنه

شرف المؤمن إنه قيام الليل ، فلا تلعن أبداً

دنیا فيها مثل صلاة الليل ومثل تلاوة كتاب الله

، يعيش الطفل في بطن أمه مع روحها فيتنفس

من خلال الحبل السري ويتغذى من خلال ذلك ،

وبعد خروجه للحياة ينسى من كانت روحه

متعلقة بروحها ونفسه من خلالها ، فيسب تلك

الأم وربما يضربها ، ما أجحدك أيها الإنسان

وما أظلمك تنسى أمك وتنسى خالقك وتنسى



كل النعم ومن أنعم وتفضل ، فكيف بنا لو
وجدنا بعض البلاء ولو مثل الدخان ، ترانا
نلعن ونكفر ونسب ونضجر ونقول:

ما هذا؟

ماذا فعلت؟

(وقد يهون الرجل في كبره حتى يرحمه الناس
ولا يدري أن ذلك بتضييع حق الله عليه في
صغره وشبابه) كلام بن الجوزي.

خلد عادل في سريره وبعد ساعة من نومه إذا
بميرفت توقظه وتقول له:

أنا خائفة من هذا الرجل ، ولا أستطيع النوم
بمفردي ، سأنام معك في الغرفة ، فقام عادل
منتفضاً وقال لها:



144

ولو جاء ممدوح ماذا يظن بنا ونحن هكذا؟

فقال له ميرفت وهي تقترب منه:

لا عليك يا عادل سأقول له أنني كنت خائفة ،

فاضطجع عادل على السرير وقال لها:

كما تحبين ولكن تعالي أنت على السرير وأنا

سأنام على الأرض ، فقالت له ميرفت:

لا كما أنت وإلا سأخرج وذنبى يكون في

رقتك ، فابتسم عادل وقال لها:

أنا لا أستطيع أن أغضبك ، فنامي كما تشائين ،

ثم أكمل عادل نومه وبعد لحظات خلعت ميرفت

ملابسها ونامت بقميص ترتديه تحت ملابسها

، فنظر عادل لها وهي شبه عارية فتحركت

فيه الغريزة الدفينة وكذلك الشيطان يلح عليه



أن ينزل بجوارها ويبدأ بمداعبتها ، ولكنه

يقول لنفسه:

لا يا عادل فلو رفضت وقلت لممدوح

فسيفضب مني ؛ لا دعك مما تفكر فيه وهيا

اخذ للنوم ؛ ولكنها هي لم تخذ للنوم وظلت

تقلب يمناً ويسرة وجسدها يتعري أكثر وأكثر

حتى صعدت بجوار عادل وطرحت جسدها على

السريير وقد أعطته ظهرها ، ولكن عادل أحس

بها فهو لم يغمض له جفن منذ أن دخلت

الغرفة ، فانقلب على جنبه الآخر وعانقها من

ظهرها وأخذ يمسح على جسدها ويضع يده

على كل جسدها ، وبدأ في اظهار جسدها كله

وهي لا تتكلم بل تترك له نفسها ، وسرعان ما

انقلبت وأخذت تقبله وتعانقه بحرارة ولم يملكا



146

أنفسهما حتى خلعا ملبسهما وعاشرها عادل
كما يعاشر الرجل زوجته ثم انتها من تلك
المتعة اللحظية لينتبه عادل مما فيه ثم قال لها:

أست عذراء يا ميرفت؟

فقال له ميرفت وهي تنظر تحت أقدامها:

لا ؛ لست عذراء ، فلقد أخطأت مع جاسر
وأخي ممدوح يعرف ذلك ، فلا تقلق من شيء
فلقد أحببتك من كل قلبي من أول لحظة رأيته
فيها ؛ فقال لها عادل:

كيف ذلك وكنت على علاقة بخطيبك جاسر
وكنت تحبينه ، أليس كذلك؟

فقال له ميرفت وقد بدا الغضب على وجهها:



147

ليس كذلك يا عادل ، فقد كنت مجبرة عليه من
قبل أخي ممدوح ولم أجد مثلك من قبل ، فهناك
الكثير مما يميزك عنه من سمتٍ ووقارٍ وعلمٍ
ووجهٍ مختلفٍ ، أما هو فكان من المجرمين
ومن ذوي السوابق الجنائية وقد تربى في
الشوارع مع أمثاله من أرباب الشوارع والأزقة
، فقال لها عادل وهو يقترب منها ويضع يده
على شعرها:

أنا لا أنكر أنني أعجبت بك ووجهك الجميل هذا
جذبني إليك وخاصة لون تلك العينان
الساحرتان وقوامك الممشوق الذي كأنه رسم
بريشة فنان.

-لم تفارق ميرفت ذراعه وأحضانها حتى بعد أن
فرغ مما كانا فيه وأخذت تقبل جسده بحرارة



148

وتعانقه في لهفة وشبه حرمان حتى إن عادل
كان يود أن لا ينهي تلك اللحظات لولا خوفه
من ممدوح أن يأتي الآن ، فقال لها:

سأذهب لأغتسل وأرتدي ملابس فممدوح على
وصول فالساعة تقترب من الخامسة صباحاً.
-قام عادل من على السرير ولملم ملابسه
ونظر إليها قائلاً:

هيا قومي وارتي ملابسك وعودي مكانك الآن
، فقالت له ميرفت وهي تبتمس ابتسامة
عريضة:

وهو كذلك ؛ كما ترى ، فانتهى عادل من
اغتساله وارتي ملابسه وخرج ليلقي نظرة
على هذا الرجل الذي يدعونه بأبي جبل ، ففتح
الغرفة فوجده قد فارق الحياة ؛ فنادى عادل



149

على ميرفت فأتت مسرعة ونظرت على هذا
الرجل فوجدته قد ذبح بسكين ومات ، فجثى
عادل على ركبتيه بجانبه وميرفت تضع يدها
على فمها حتى لا تصرخ ، وحضر ممدوح في
تلك اللحظة ، وقال لهما:

ماذا حدث؟

وكيف هذا؟

ألم يكن الباب مؤصداً؟

فكيف دخل من قتله؟

فقامت ميرفت وقالت له:

لقد أتينا له بالطبيب وقد طيبه وقدمنا له الطعام
والشراب وكان يصرخ من الألم فأعطيناه هذا



المسكن حتى هدأ ونام ، فقال ممدوح وقد بدا

كالأسد الغضوب:

ولكن كيف دخل هنا؟

فقالت له ميرفت وهي ترتعد:

ألا ترى هذه النافذة قد فتحت ودخل منها من

دخل فجثى ممدوح على ركبتيه وقلب ملابس

هذا المقتول ، فوجد رسالة معه قد كتب فيها:

(لو أنا مت فسوف تجدون شيماء في نفس

المكان الذي قتل بجواره جاسر غداً بالليل بعد

(العاشرة مساءً)

أسمع ممدوح الجميع بما في الرسالة ، ثم

يمزقها ، ويقول لهما:



هيا احمله معي حتى نضعه في السيارة ونلقيه
في أي مكان

؛ فحملوه ووضعوه في السيارة ومضى به
عادل وممدوح للخارج وبقي ميرفت وحدها ما
بين خوف مما حدث لهذا الرجل وبين فرحتها
ومتعتها بعادل ، فظلت تفكر فيه وهي منبطحة
على بطنها على السرير وتتقلب كأنها زهرة
فواحة سقطت من شجرة مرتفعة لتتقلب بين
النباتات الصغيرة في مرح وخفة ودلال ؛ ذهب
عادل وممدوح لوادٍ فسيح ومعهما أداة حفر
فيأخذها ممدوح وينزل ليحفر في الأرض لهذا
القتيل وعادل يشاهد ما يحدث وهو مشمئز وبه
من النفور والأنفة ما يجعله لا يقبل على أي
شيء ، وأخذ يفكر كيف وصلت تلك الرسالة



152

لهذا الشخص وهو قد جاء معنا دون أن يعرف

ماذا سيحدث له ، فيسأل نفسه:

من الذي قتله ولماذا؟

وهذه الرسالة قد وضعت له بعد موته وليس

قبل ذلك ، ولكن ممدوح ناداه وقال له:

هيا أنزل هذا القليل لتواريه معي في التراب

فقد فرغت من الحفر ، فتحرك عادل وأخذ هذا

القليل لخارج السيارة ووضعاه في الحفرة

ووارياه عليه التراب وانصرفا ثم ذهبا للمنزل

وبعد ليلة عصبية نام الجميع بضع ساعات

ليستيقظوا على صوت الهاتف الأرضي بعد

العصر ، فأجابه عادل:

من الذي يتحدث؟



فقال المتحدث في لهجة تهديدية:

اسمع جيداً يا هذا ، لن تستطيعوا أن تصلوا
لشيء أبداً ، فلا تجهدوا أنفسكم ، هيا سلام ،
فصرخ فيه عادل:

من المتحدث ؛ من ؛ من؟

ولكنه أغلق الهاتف ؛ فجلس عادل وقد هام
على وجهه يفكر فيما حدث وما يحدث ، فقال
لنفسه:

لقد كنت في غنى عن ذلك كله ، وكنت في غنى
عن تلك الوجوه التي لا تأتي بخير أبداً ، لقد
بدأت الأمور تتعقد وكلما وصلنا لشيء ضاع
منا ثانية ، ولكني أتفاعل بأننا قد اقتربنا من
هؤلاء الأوغاد ، فها قد وقع أحدهم والبقية
تأتي ، فليست الأقدار في أيدينا ولا نملكها ،



فعى ما يحدث فى ظاهره الشر وفى باطنه
الخير ، فتفتت الجبال وينزل منها ما ينفع
الناس وتفيض البحار بالخير وبالشر تارة ،
حتى الطعام يحمل فى قلبه الخير والشر ، فلا
تجد تحت أديم السماء أى شىء بمعزلٍ عن
الشر، أو يستطيع بكلتا يديه دفع الضر عن
نفسه ، فالأمطار تهطل على الأخضر واليابس
والكل يرتوي وهو يضحك ، فلا تجد إلا والكل
قد سرّ برزقه ، وتتهافت النيازك المحرقة فى
الفضاء ولكنها لا تصل إلى أسفل حيث اجتماع
الناس والحيوان والجماد ، الرحمن الرحيم
خالق الإنسان من طين ، فالله لطيف بعباده ،
فينزل بالبلاء على من يشاء ويبتلي برحمته
وحبه من رضى عنهم ، ففرق بين البلاء



والابتلاء ، فالبلاء ينزل إما بالعذاب أو الانتقام
على قومٍ أو أحد الناس والابتلاء هو الاختبار
والتحصيص ومعرفة من على الطريق الصواب
يسير ، وعلى كل فيعرف ذلك في كيفية
المصيبة التي تنزل ، فالله لا يفضح من أطاعه
وأحبه ووالاه ولا يجعل الخلق يشمتون فيه
بمنظر مفجع أو فاضح ، كمن يموت موة
تجعل الناس يقولون:

ماذا كان يفعل في حياته حتى يحدث له ذلك؟
كالذي حدث في إعصار تسونامي ، فالمطلع
على الحادثة يسارع بالسؤال على الفور
ويقول:

ماذا كان يفعل هؤلاء؟



الفصل الخامس

-بحث الضابط علاء في كل مكان عن عادل فلم يجده ، ولكنه يبحث في أعماق هذه القضية ، فجلس مع ضابط من ضباط المخدرات وتناقشا عن تلك القضية ، فأخبره أن هذا المدعو جاسر كان من الذين لهم الباع الكبير في تجارة المخدرات ولكننا لم نمسك عليه أي دليل ، وأن هذا المتهم المدعو عادل ليس له أي علاقة بهذا الطريق والشواهد تقول إنه بريء فقال علاء في تعجب:

ولكن لماذا هرب وأين ذهب؟

فقال الضابط خيري وهو يضع إصبعه في

شعره:



لقد حدثتني عن قصر لأحد أعضاء مجلس

النواب ويدعى المنياوي اليس كذلك؟

فقال له علاء على الفور:

نعم ، ولكنه ليس هنا إنه قد سافر منذ أسابيع ،

فقال خيري:

سأقول لك ما لم تتوقعه يا علاء:

هذا النائب ضبطنا معه كمية من "الهيروين"

ولكننا لم نستطع القبض عليه ومحاكمته ، لأنه

استطاع أن يبدل "الحرز" الذي ضبطناه معه

بمادة أخرى لا غبار عليها بفعل رجاله الذين

في كل مكان ، فقال علاء وهو ينظر في تعجب:

تعني أن هذا المكان من الممكن أن يكون قد

استخدمه هؤلاء لقتل جاسر ولتوريط عادل ،



فاحتسى خيري رشفة ماء ثم وضع الكوب على

المنضدة وقال:

نعم ، أنا أجزم على ذلك وأنا قد وصلتني

إخبارية تأكد ذلك ، فقال علاء وقد بدت عليه

الحيرة:

ولكن ما دليلنا على هذا؟

فقال له خيري:

سنحتاج لجهد كبير هذه الأيام حتى نصل

للصواب.

-استيقظ ممدوح وميرفت فوجدا عادل مستيقظاً

وقد جلس بمفرده في فسحة المنزل وهو

مضطرب المزاج ، فأقبل عليه ممدوح وقال له:



أيه يا عادل ، ماذا حدث ، لا تفكر كثيراً
وسنصل لكل شيء إن شاء الله ، فابتسمت
ميرفت وجلست أمامه وممدوح بجواره وقالت
له:

ألم تستمتع بالنوم الليلة أماذا حدث؟

فقال لها عادل:

لا ؛ لا شيء ولكني أريد أن أصل للحقيقة
وتظهر براءتي للجميع ، فقال له ممدوح وهو
يدخن سيجارته الغليظة:

لا عليك يا عادل ، فهذه الليلة سنذهب لتلك

الفتاة مع أنني أشك في هذه الرسالة وفي

مضمونها ، فقال عادل وهو مضطرب

الأعصاب:



لابد أن نأخذ حذرنا ونحتاط للأمر حتى لا نقع
فريسة لهم ، فقالت ميرفت وهي تنتظر لهما:

ألم تجوعا بعد فقد تضررت جوعاً؟

فقال لها ممدوح:

هيا وماذا تنتظر، كنت أحسبك قد أعددت الطعام
وأنت تجلسين هكذا ؛ هيا اذهبي.

-ذهبت ميرفت وبعد دقائق أتت بالطعام ليأكلوا
جميعاً ويتبادلون أطراف الحديث عن حياة
عادل وما كان يعمل وعن عائلته ، تلك الأسرة
التي تحصد زرع الأيام السقيمة ، فها هما أبواه
يتعذبان بسبب ابنهما البر العطوف ، فلا
يتركان ساعة من الساعات حتى يدعوان له
ويسألان له البراءة وعودته سليماً معافاً ولا



161

يريدان منه شيئاً ، ولكن عادل لم ينسأهما ،
فقد سأل حسام عنهما ، فقال له:

لقد ذهبت إليهما وأحضرت لهما كل متطلباتهما
، فلا تشغل عليهما يا عادل فهما بمثابة أبويّ
، وعلى العموم أنا في طريقي إليك ، هيا
انتظرنى وقص علي ماذا حدث.

-وصل حسام بعد المغرب فوجدهم في انتظاره
، فقصوا عليه ما حدث وما صار مع هذا الرجل
، ثم انصرف من الجلسة ومدوح وبعده ميرفت
ليقص عادل على حسام مع حدث تلك الليلة
وخاصة مع تلك الفتاة ، فابتسم حسام وقال
لعادل:

سبحان الله العظيم ، أنت مع ما أنت فيه من
مشاكل وصعوبات إلا إنك لا تحرق نفسك فيما



162

أنت فيه وتحب وتستمتع بحياتك كأنك في نزهة

خلوية ، فقال له عادل:

كيف أخبار أبواي؟

هل هما بخير؟

فقال له حسام:

نعم يا عادل ولكنهما قلقان عليك ويريدان أن يروك ، وخاصة أمك فعبرتها لا تجف منذ أن فعل بك هذا ولا يهنئون بطعام ولا شراب طوال هذه الأيام ، وقد تعب أباك وذهبت به للطبيب واشتريت له الدواء ، فزرقت عيني عادل بالدموع وقال:

وماذا أفعل؟

أريد أن أراهما ويروني ، ماذا أفعل يا حسام؟



فقال له حسام:

سوف أحضرهم لك في أقرب وقت إن شاء الله

، فقال له عادل:

توخي الحذر يا حسام في حركاتك فمن الممكن

أن تكون مراقباً من قبل الشرطة لأنك أحد

أصدقائي ، فلو تعقبوك لوجدونا هنا ؛ فقال له

حسام:

لا تقلق يا عادل فأنا أسير بحرص ، أما تعرف

أني قرأت قصصاً بوليسية كثيرة وشاهدت

الكثير من الأفلام التي تأخذ نمطاً بوليسياً.

-أنت ميرفت بأكواب الشاي وجلست معهما

ورحبت بحسام ، فقال لها حسام:



لقد مدحكِ عادل لي وأثنى عليك كثيراً في

غيابك ، فابتسمت ميرفت وقالت له:

أَوْ فَعَلَ هَذَا؟

فنظر لها حسام وقال لها:

نعم ، لقد غيرتِ مزاجه وجعلتيه يبتسم بعدما

كان عبوساً ، فأقبل ممدوح ومعه زجاجة من

الخمير وثلاثة أكواب ، فجلس ثم أفرغ ما

تحويه الزجاجاة وقال لهما:

هيا اشربا ، فنظر عادل لحسام ولممدوح وقالوا

بلسان واحدٍ:

إننا لا نشرب الخمر، معذرة يا ممدوح فابتسم

ممدوح وقال لهما ، سأشرب أنا بمفردي ما

دمتما هكذا ، فمر الوقت وتأهب الجميع للذهاب



للمكان الذي كان في الرسالة وبعد قليل من
 الوقت يصلون إلى هناك ، فيأمر ممدوح أن
 ينزل حسام فهو ليس معروفاً وأن يستكشف
 المكان وأن يرى هل في المكان شرطة أو ما
 شابه ذلك ، فسرعان ما نزل حسام ومشط
 المكان وعاد إليهم ليخبرهم أن المكان آمن ولا
 غبار عليه ، فتحرك الجميع نحو الشقة ولكن
 في انسياب وتتبع ، فصعد حسام السلم
 وممدوح أولاً وتركوا عادل وميرفت بالأسفل
 لحين الاتصال بهما ، ثم اقتربا من الباب ،
 فقرع الجرس حسام وممدوح ليس في الظاهر
 ، ففتح الباب ثمة رجل ضخم الجثة فقال
 لحسام:

ماذا تريد ومن أنت؟



فظهر ممدوح على الفور من وراء جدار الدَرَجِ
وقد أخرج مسدسه ووضعته على رأسه وقال

له:

هيا ادخل ولا تتلفظ ببنت كلمة وإلا فجرت
رأسك ، وبينما هما كذلك اتصل حسام بعادل
وقال له هيا اصعد ، فصعد عادل وميرفت
ودخل الجميع داخل الشقة ولم يجدوا سوى هذا
الرجل ، فضربه ممدوح على رأسه بمؤخرة
المسدس وقال له:

لو لم تخبرني بمكان هذه الفتاة التي تدعى
شيماء فسأفجر رأسك حالاً ، فتكلم الرجل
بعدهما رأى في عيني ممدوح الغضب والجد
وليس الهزل فقال:



هي على وصول ومعها بعض الأشياء لي ،
فقال عادل وهو ينظر في سخرية له:

أتقصد بعض المخدرات؟

نعم ستأتي ومعها حقيبة هيروين لأوصلها
لشخص ما ، وقبل أن يتم كلامه والتحقيق
معه فُتح الباب وأفرغ أحد الرجال ما معه من
رصاصات في هذا الرجل وتبعثر الجميع خوفاً
من الرصاص ، وأسرع ممدوح بإطلاق النار
عليه ثم تلاه حسام ، ولكنه كان محترفاً فقد
أسرع وأسرع ورائه ممدوح وحسام وخرج
عادل وميرفت على الفور وتركوا هذه الجثة
على الأرض وفرا للخارج حتى لا يتهما فيه
أيضاً ، فيفر هذا الرجل بسيارته ولكن ممدوح
لم يتركه فقال لهم هيا اركبا بسرعة وذهب



خلفه ليلحق به ، وتتسارع السيارتان على الطريق وتتم المطاردة حتى دخلا في منطقة صحراوية وأصبحا بمفردهما على الطريق ثم أخذ هذا الرجل يطلق من مسدسه الطلقات العشوائية دون أن تصيب أي أحد ، وأخذ حسام وممدوح يطلقان عليه النار ولم يصيباه بأذى ، فقال لهما عادل اعطني هذا السلاح فأعطاه ممدوح مسدسه ثم أخرج رأسه من نافذة السيارة ويده وبها المسدس ثم أطلق طلقة فأصابت إطار السيارة فانقلبت على الفور ، فأسرعوا جميعاً نحو تلك السيارة ليلحقوا بهذا الرجل قبل أن تتفجر السيارة ، فأخذ عادل وممدوح في سحبه وحسام في تحريك السيارة



حتى أخرجوه وهو مثخن في دمائه وما زالت
روحه لم تخرج بعد ، فقال له عادل:

هيا قل أين أجد هؤلاء الناس؟

هيا قبل أن تلقى ربك ، هيا افعلها ولو مرة
واحدة تتجيك من النار ، فنطق الرجل وقال
بصوتٍ متهدج لا يكاد أن يخرج منه الكلام:
ستجدون هؤلاء الناس في ذلك القصر غداً ،
فهم على موعدٍ بالرجل الكبير ، ثم خرجت
روحه ليحاسبه ربه على ما جناه وقدمه ، فعاد
الجميع للمنزل وقد أُجِّل الأمر ليوم آخر.

- علم الضابط علاء والضابط خيري بما حدث
وأخبره الناس والشهود بما جرى في المكان
ومن رؤيتهم لهذا الشاب الذي قتل من قبل أي
يقصدون عادل ، وسرعان ما نشرت الصحف



والصحافة صورته وأطلقوا عليه لقب السفاح ،
وتزداد الطين بلة بما قيل وبما حدث ، وغضب
عادل لما قيل وأثير عنه ، ولكن علاء وخيري
فطنا للأمر وبدئا يتحركان في المسار السليم
نحو هدفهما ، فاستعان الضابط علاء برؤسائه
وكذلك خيري وقد أقنعوهم بما يرونه من قرائن
تدين هذا الرجل ، ولكنهم رفضوا وحذروهما
من اتخاذ أي قرار فردي أو تصرف عشوائي
يثير القادة الكبار ، ولكن علاء أصرّ أن يراقب
هذا الرجل ويتتبع خطواته وذهابه وإيابه ،
فذهب بمفرده لهذا القصر وأخذ يراقبه من بعيد
على مدار أوقات الذروة وذلك بعد حصوله على
إذنٍ بالغياب لفترة تمتد لأسبوعين.



- عاد عادل ومعه حسام وممدوح وميرفت

للمنزل وبعد ساعة استأذن حسام لذهابه

لمنزله ، وقال لهم:

لقد أتيت لكم ببعض الطعام والشراب في الداخل

إذا أردتم أن ذلك ، فانصرف حسام بعد توديعه

لهم وخاصة عادل ، وجلس الجميع وهم في

صمت طال لمدة ساعة وبعدها نطق ممدوح

وقال:

سأذهب للملهى كالعادة يا ميرفت ولو جدّ في

الأمر أي شيء فأخبريني ، وهيا أحضري

لعادل الطعام وتناولوا عشاءكما وغداً إن شاء

الله سنذهب للقصر ونرى ماذا يحدث.

-انصرف ممدوح لمكان عمله حيث يمتلك

الملهى الليلي المجاور لذلك الملهى الذي كان



فيه أبو جبل ، وتأتي ميرفت بالطعام لتأكل هي
وعادل ، فوضعت ميرفت الطعام وعادل ما زال
ينظر إليها نظرة عميقة طالت إلى أن قالت له
ميرفت:

هيا يا عادل ؛ هيا لنأكل ، ماذا حدث؟ إلى ماذا
تنظر؟

فنظر لها عادل وهو يبتسم ثم قال:

أنظر إليك يا حبي ، فقد ضيعتي همومي وما أنا
فيه من مشاكل قد تراكمت علي وتزداد سوءاً
يوماً بعد يوم ، فقالت له ميرفت:

علينا بالصبر ولا تقلق ، فما دمت بريئاً

فسيظهر الله براءتك إن شاء الله.



-تناولا الطعام في صمت ولكن عيونهما لم

تصمت فقالت ميرفت لنفسها:

لقد عشت عمراً بين الحرمان من الأب والأم
فقد فقدتهما في صغري وعشت هذا العمر مع
أخ لا يعرف سوى الخمر والمخدرات والليل
والسهر ومرافقة الغانيات كل ليلة وعيشي
وحدي في هذا المنزل طوال هذا الوقت ، وقد
فقدت أثمن ما تمتلك الفتاة على يد شاب قدر قد
أدمن المخدرات وتاجر فيها وها هو قد تركني
وقتل بعدما مارست معه الجنس أكثر من مرة
وأنا أترك له جسدي عن طيب خاطر مني بعدما
استطاع أن يسلبني شرفي بأسلوبه الذي يشبه
الحية ولم أتزوجه وقد مات ليتركني هكذا بلا
شرف أملكه لأكون جديرة بمثل عادل ، فماذا



يقول عادل وقد كنت سهلة معه وأنا التي
تمسحت فيه وبدأت بالإقبال عليه والنوم

بجواره؟

فهل سيتمسك بي ويحبني؟

أم قد ألقاني من نظره ومع براءته سيتركني
ولا يعود ثانية؟

سأعرف كل هذا الليلة من معاملته لي ومن
تركه لمشاكله وإقباله علي ، نعم سأعرف
وأصل لقرار سليم ، أخذ يحملق فيها عادل ثم
قال لها:

ماذا قد شغلك يا ميرفت؟

لماذا لا تأكلين وتحملقين في هكذا؟

فقالت له ميرفت:



لا شيء ، لقد انتهيت من طعامي فقط ، فقال

لها عادل:

أنت لم تأكلي ولم تشبعي ، فقالت له:

لا قد شبعت ، طعامي عادة هو ذا ، فتناول

عادل كوب الماء وقال:

إذن هيا أريد كوباً من الشاي فرأسي كادت

تتفجر.

-قامت ميرفت تجمع بقايا الطعام والآنية قائلة

له:

سأحضر لك أفضل كوب شاي ، ثم ذهبت

للمطبخ وعادل ذهب للحمام ليستحم من أثر ما

حدث وبعد دقائق خرج ليجد الشاي ووجد

ميرفت في أبهى منظرٍ وأحلى ثياب ، فيرفع



حاجبه لأعلى وتعجب مما رأى ، ثم جلس
ليتناول الشاي على سريره وميرفت بجواره ،
فقال لها:

ما هذا الجمال وما هذه النضارة ، لقد
استحوذت على قلبي وعقلي ، أنا لم أرى مثل
جمالك من قبل ،
فقالت له ميرفت:

أنت تبالغ يا عادل ، ألم تحب أو ترافق فتاة
أجمل مني من قبل؟

فقال لها عادل وهو يرتشف جرعة من الشاي:
لقد رافقت من قبل ، أما أجمل منك فلا ولا أذ
وأطعم منك ، فاقتربت منه ميرفت أكثر وأكثر
ثم قالت له:



هيا قص علي من هي ومن تكون ، فقص
عليها عادل وهو يتهد بقوة قصته مع تلك
الفتاة التي كانت معه في الجامعة ولم يستطع
أن يتزوجها لثراء والدها وفقره هو ، فلا يوجد
تكافؤ اجتماعي بينهما وبعدهما انتهى حتى لا
يظهر عليه التأثير بالقصة التي عاش فيها فترة
من الزمن بين الألم والعذاب فقد أخذ ميرفت
على صدره وأخذ يمسح بيده على شعرها
ويضع يده على وجنتيها وشفتيها وهي تقول
له:

أحبني يا عادل أم أنا متعة لحظية وتنقضي؟
وستنتهي ببراءتك وذهابك من هنا؟



-فرع عادل وجهها ووضع يده تحت رأسها
ووضع وجهه أمام وجهها واقترب بشفتيه من
شفتيها وقبلها وعانقها وهو يقول لها:
لن أتركك أبداً يا ميرفت وهذا الوعد أقطعه
على نفسي من الآن أمامك وأمام الله ،
فابتسمت ميرفت وجذبتة إليها بشدة وعانقا
بعضهما بحرارة وحب وطرحا ملبسهما على
الأرض وعاشرا بعضهما بكل حرارة وشغف ،
وظلا هكذا لساعة عاشا فيها أذ المتع وهي
جماع الحبيب بحبيبه وبث روح المشاعر في
روحه وكيانه ليتمزج برهج الشهوة الفياضة
ليصنع مخدراً لذلك المارد الذي يكون داخل
النفس المفعمة بالشهوة والغريزة الدفينة ،
فالحب الحقيقي هو مزج الروح مع الروح



واختلاط الجسد مع الجسد وولوج الأعضاء
داخل بعضها وتذوق نَفْس الحبيب وملمس
شفتيه ، بل هو ذلك الشوق المتدفق الذي
يخرج من حنايا ذلك الطير الأبكم الذي لا
يصرخ ولا يتكلم ليفضح تلك الأحاسيس التي
يخرج منها ذلك النبض الذي يشبه ما في سلك
الكهرباء ، فمن الخارج لا ترى فيه أي شيء
وإذا لمست شعرت بجذبة عظيمة تأخذ كل
حواسك وتنهش قلبك ، ولكن هذا كله محض
غريزة ، أما الزواج والأسرة فمسؤولية وتربية
وقواعد وأصول حتى ينتظم نهج المنزل ولا
تختل قواعده ولا أعمدته ، فالتناغم مع
متطلبات الزوجية ومشاكل البيت لمن الصعب
على من لا خبرة له ، فالمرأة كما تطلب منها



المتعة والحياة واللذة في الفراش كذلك لها طلباتها ومتعتها المختلفة ، من متعتها في ود أهلها ومجاملة جيرانها واهتمامها بنفسها وبيتها وكيانها ، فما من رجل أهمل زوجته إلا ووجد منها الإهمال والعبث والكسل والبرود وعدم اللامبالاة بأي شأن من شؤون البيت ، وكذلك الرجل يحب بعد عودته من عمله وسفره أن يعود لمنزله فيجد الطعام الجيد والشراب البارد الحلو والمتعة في الفراش كما كان يفكر ويتمنى، فاهتمام المرأة بزوجها ومتعته معها في الفراش والكلام اللين السهل يجعل من الرجل ذلكم الزوج الذي يراعي حق أهله وأولاده ولا يختار مصاحبة أحد دون أهله وأولاده رأيت صغار الليث في قفص الأشبال



والأب في قفص آخر لا يرون بعضهم إلا كل
حين ، فلا يشعر بالفرح من فقد أباه أو عاش
بعيداً بلا أبٍ فبعداً لأم لا ترعى حق الزوج أو
الولد ، ستخسر كل حياتها وتعيش في بؤسٍ
ودموع ، فأحلام الحمقى لا تساوي عند لبيب
ولا تزن ، فكما أن عرين البهنس له سقفه
الذي يحفظ عليه ملكه وسيطرته وهيمنته
فكذلك كل رجل يحتاج لأن يكون سيداً في بيته
مهابةً بحب وطلباته مجابة ، أما ما نراه اليوم
من عنت وتعنت وعناد وصوت جهوري من
قبل الزوجة لمن المؤشرات التي تنبئ بالخطر
وتنذر باللعة وخراب البيوت ، فمنذ أن شاهدنا
المرأة في الشاشات وهي تضرب الرجل وتكيل
له من الكلام كيلاً وتسبه وتنطق له وتعلوا



بهامتها عليه وتعيّره بما لا يليق إلا وقد رأينا
ذلك في نساءنا وأمهاتنا وأخواتنا وحتى في
بناتنا، فقد ارتدين زي الرجل وعُرف الديك
وشكل النمر وغضب أنثى الطاووس حتى
انتشر الطلاق وتشرد الأطفال وكل ما يهم
المرأة نفسها وكرامتها وشخصيتها وقد نسين
أنه لا يوجد بين الزوجين ما يسمى بالكرامة،
أو أي مسمى آخر ، لأن ما بين الزوجين من
عشرة وعيش فيه حياتهما كالعراء لبعضهما ،
فهما قد يفعلان مع بعضهما ما تستحي هي أن
تفعل مثقال ذرة منه مع غيره وهو كذلك، فماذا
بعد ما يفعلانه من فعلٍ؟

فهذا لا يجوز بدعوى الكرامة أن يكون بينهما
بعض الهزل ولو ببعض الألفاظ ما دامت لا



تجرح أو يأخذ رأيها ويجعلها تقود معه
السفينة جنباً إلى جنب دون أن ينفرد أحدهما
بالقيادة ، فمن السهل على بعض الرجال أن
يتركوا لأزواجهن القيادة ويجعلها تعمل وتربي
وتُعلّم وتفعل كل شيء في البيت وهو يشاهد
ويعلق بعض التعليقات التي لا فائدة منها
ولكنها ستمل وتتضايق وتشعر بضياح أنوثتها
وعدم التحمل لأكثر من ذلك ، فيتعالى صراخها
وينبت شعرها ويتضخم صوتها ويسمع أنينها
وتشكو وتضجر وتلعن وتزمر وتقول وغوثاه
ولا مغيث ، فكم من امرأة ذهبت تترنح وراء
شهوتها وتسلطها وتركت زوجها وأولادها
بحجة سوء معاملة زوجها ، ولو سمعت من
كلا الطرفين لرأيت أنها هي الظالمة لأنها لم



تكن منصتة لزوجها ولا مطيعة له ولا مفضلة
زوجها على كل من عاداه ولو كان أباه ،
فالزوجة المخلصة الصالحة هي التي تجعل من
بيت زوجها بيتها وسكنها وملأها وماوى
أولادها والعرين لها ولأسرتها ، أما من اتخذته
نُزلاً أو فندقاً أو استراحة فلن يدوم لها ولن
تهناً بعيش فيه ولن يكون هذا البيت لها أمناً
ولا أماناً ولا حتى ملجأ لها من برد الكلاب
الضالة ولا هجير الذئاب المفترسة ولا رداءً
يسترها من أسنة الناس المتعطشة للفضائح
وكشف العورات ، هيهات ؛ هيهات لرجلٍ ديوث
يلعق من وحل العار ويشرب خبال أهل النار ،
فمن ذاق عرف ومن عرف أيقن أن الجنة لا
يدخلها أي جحود أو من رضي الدنس واللعنة



في بيته ، فلن تجد في العالم من لا يستحي إلا
من شب على العري وعدم الحياء حتى من
أقرب الناس ، فمن تربي على العفة عفاً ،
ومن كبر على الفضائل أصبح أفضل الناس ، لا
تشتري المكارم ولا تباع في أروقة المساجد
ولا في الباحات ، لأن تلك السلعة غالية ولا
يلاقها إلا كل من نشأ على الشهامة والمروءة
والرجولة حتى ولو كنّ نساء ، فقد يمكن
بعض النساء شهامة ومروءة ليست في كثير
من الرجال ، فلا تعجب من قولي وخالط تعرف
أكثر وتتعلم حتى من النساء ، فالمرأة إن
صحت شيدت أمماً وربت رجالاً ، ناهيك عن
تلك المرأة التي جعلت من نفسها آلة ميكانيكية
للطهي والتنظيف وللمتعة الزوج ونسيت أن



تبت روح القيم والمبادئ والأخلاق في طفلها ،
فيخرج للناس يسب ويلعن ويضرب ويبدد ،
ويتناول على من هو أكبر منه وربما بالضرب
أو بالسب حتى يبغضه الناس ويلعنون أمه
وأباه ، فالرجل قد يكون في عمله طيلة النهار
وإذا عاد للمنزل يكون قد أنهكه التعب من
العمل والمواصلات ، فيحتاج لهدوء وسكينة
وبعض التوجيه البسيط ، لكن الأم مع أولادها
طوال النهار والليل ولو وضعت لهم أسس
التعامل السليمة من البداية لما تعبت حين
كبروا ، أما لو أهملت تربيتهم على الخلق
الحسن صغاراً أتعبوها كباراً ، فحتى لا يكون
هناك الندم والبكاء والعيول ، فلا بد من أن
يرونا أولاً على خلق ومظهر به الاحترام



والتقدير ثم نأمرهم ونربيهم على ما نحن عليه ،
أما لو افتقدنا الخلق نحن ، فكيف نأمرهم به ،
ففاقد الشيء لا يعطيه ، ومن الناس من ينشأ
خلاف هذا فهذا ليس قرآناً ولا قاعدة ولا
مقياساً ولا ثابتة من الثوابت ، فهناك من خرج
من بيئة الطهارة ليكون أقدر ممن نشأوا على
النجاسة والدنس والقذارة، وهناك خلاف ذلك
ممن تربوا في بيئة القذارة وخرج للناس
كأطهر الناس وذلك مدون في كتب التاريخ
والقرآن مثل زوجة فرعون فقد نشأت في منزل
فرعون ذلك المتكبر المدعي للربوبية
والألوهية ومن سفك الدماء واستحل كل ما هو
خلاف الناموس الكوني ، فتؤمن بموسى
وتموت على الإيمان والطهارة وقمة الصمود



والقوة ، وعلى النقيض زوجة لوط وزوجة
نوح ، فقد نشئت في بيئة الأنبياء وحظيرة
الأتقياء الأطهار ومكان مهبط الوحي ورغم
ذلك كفرتا وعصيتا وخالفتا أوامر زوجيهما
عليهما السلام ، فهذا ينفي أن البيئة تؤثر في
الفرد ، فلو كانت بيئة الإيمان تؤثر لأثرت في
هاتين المرأتين.



الفصل السادس

-نام عادل وميرفت في سرير واحد طوال الليل
 في أحضان بعضهما وقد وضع عادل شفتيه
 على شفتيها وأخذ يستنشق عبير زفيرها
 ودفء حسيها ومضى الليل كأنه ساعة من
 نهار وأتى ممدوح فوجدهما هكذا ، فلقد نسيا
 عادل نفسه وأنه ليس في خلوة زوجية بل هو
 قائم على علاقة محرمة لأنه لم يتزوجها شرعاً
 ، ففتح ممدوح الباب ووجد أخته مع عادل في
 هذا الوضع فهم بضرب عادل ولكن عادل قال
 له:

انتظر ، لا تتسرع فنحن سنتزوج اليوم وقد
 علمت عنها كل شيء ؛ ثم أخذت ميرفت



تصرخ بعدما لطمها بمدوح عدة لطمات وهي

تقول له:

لماذا لم تعاقب من أخذ شرفي في المرة الأولى

ولم يتزوجني؟

لماذا تركته معي عدة مرات دون زواج؟

-تقول ذلك وقد خرج عادل للخارج ليرتدي

ملابسه ، لأنهما كانا عاريان تماماً ، فأدار

مدوح وجهه وهو يخاطبها وانصرف لغرفته

ثم خرج بعد قليل ليجد عادل في فناء البيت

وميرفت في غرفتها ، فقال لعادل بعدما جلس

بجواره ، هل هذه أول مرة لكما؟

فقال عادل وقد وضع وجهه في الأرض:



لا ؛ بل الثانية وقد أحببتها وأريد الزواج بها
اليوم وكان شيئاً لم يكن.

أخذ ممدوح يتنفس الصعداء ويزفر كالليث
الذي فقد أولاده ثم قال لعادل:

سأبعث في احضار المأذون ليعقد قرانكما الآن
وعليك بإحضار حسام وشخص آخر تثق به
حتى يشهدا على عقد زواجكما ، ولا تثريب
عليكما ما دمتما قد عقدتما النية على ذلك فنظر
عادل وهو يغض الطرف أمام ممدوح ويقول:

لا تغضب مني يا ممدوح فأنا أكنُّ لك كل احترام
وتقدير لما بذلته وما ستبذله من أجلي ولم أكن
بالخائن الذي لا يرعوى لحرمة صديقه أو
جاره ، بل قطعنا العهد أن نتزوج منذ أن كنا
بمفردنا أول مرة ، فقال له ممدوح:



لا عليك ، ولا تتكلم.

-أتى المأذون وأتى حسام بالشاهد الآخر
وتزيت ميرفت لدخولها عش الزوجية ولكن
دون تلك المراسم والطقوس التي تكون في
الزواج ، فبكت ميرفت في بادئ الأمر بعدما
أتموا مراسم الزواج وجلس معها عادل
بمفردها ، فقال لها عادل:

ما يبكيك أيتها العروس في تلك الليلة السعيدة؟
فقالت أبكي لأن لكل عروس فرحاً وعرساً أما
أنا فلم يكن لي ذلك
فقال عادل:



يكفي أننا أصبحنا مع بعضنا وقد حققت وعدي
لك ، فقاطعهما حسام وقال لعادل بعدما صرف
من معه من شاهد على الزواج:

الليلة ميعاد هذا الرجل في هذا القصر

فنظر إليه عادل وقال:

وأنا أتذكر ولم أنسى قط.

-أتى ممدوح بعد ساعات وهو يمسك بزجاجته

المفعمة بالخمير وقال:

هيا استعدا لنذهب لذلك المكان وننتهي من تلك

القصة المشؤمة ، وهيا نشرب نخب زواج

عادل وميرفت

-سكب عادل في الأكواب ما يحمله من خمير

ونظر لعادل وحسام وقال لهما:



ستعرفان اليوم من قتل جاسر ومن هو خلف
كل ذلك.

-نظر عادل وحسام لبعضهما في تعجب ولكن
دون كلام ، ولكن ميرفت دخلت لغرفتها
وأغلقت على نفسها باب الغرفة منتظرة حبيبها
وزوجها عادل ليعود لها بعد ظهور براءته
ويستأذن عادل رفيقاه ليدخل على ميرفت قبل
ذهابه لهذا المكان ، فضحكا وقالوا له:
من حقا هذه ليلتك ، ولكن لا تغيب علينا
فنحن ننتظرك كي نذهب.

-دخل عادل غرفة ميرفت بعدما طرق الباب
ففتحت له ، فنظر إليها في حزن عميق وقال
لها وهو يأخذ برقبتها ويقربها له:



قولي لي يا ميرفت ، لو لم أعود ، ماذا

ستفعلين؟

فنظرت إليه في حزن وعيناها امتلأت بالدموع

وقالت له:

سترجع إن شاء الله وسنعيش سوياً وننجب

أطفالاً ذكوراً وإناثاً ، فقبلها عادل قبلة حارة

وقال لها:

سنكمل بعدما أرجع هيا سأتركك الآن ، فقالت

له ميرفت:

سأذهب معك ولن أتركك ، فقال لها عادل:

لا ، لن أسمح بذلك وإلا فسأغضب منك ولن

أكلمك ، فقالت له ميرفت:



196

كما يحلوا لك ، فخرج عادل وهو يضع سلاحه
في خصره وقال لهما:

هيا لنقضي مهمتنا هذه وننتهي منها ، فقام
ممدوح وقال له:

الساعة ما زالت الثالثة عصراً ومعادنا الليلة
بعد العاشرة ، وأنا لم آخذ قسطي من النوم بعد
فقال له عادل:

سأذهب أنا وحسام ، فقبل أن ندخل القصر
نحتاج لترتيبات وإعدادات حتى لا نقع في فخ
مثل تلك المرات السابقة ، فقال ممدوح:
ما دام الأمر كذلك فإذهبنا وأنا سأكون معكما بعد
خمس ساعات من الآن ، وحتى أقدر على أن



أتصرف بوعي وبكل قواي ، فنظر حسام
لممدوح وقال له:

هيا اذهب واخذ لنومك وعليك أن تتبعنا بعد
خمس ساعات ولن ندخل القصر حتى تأتي ،
فنظر عادل لميرفت وقال لها:

بعد خمس ساعات أيقظيه ليتبعنا
فقالت له ميرفت:

وهو كذلك سأوقظه من النوم ليتبعكما ، فتحرك
حسام وعادل لذلك المكان ولكن في حذر ومهل
، فنزلا على مقربة من القصر واختفيا في
الأسفل حتى لا يراهما من أحدٍ وبعد ساعة مكثا
فيها يراقبان المكان ، فلاحظ عادل حركة كثيفة
في صحن القصر وقد كانوا نساء ورجالاً ،
واعتقد عادل وجود شيماء وعلياء هناك مع



هؤلاء الجمع في القصر ، ومضت الدقائق تترا
حتى جاء ممدوح فذهبوا جميعاً للقصر ولكن
من الخلف فصعد ممدوح أولاً من النافذة ليفتح
لهما الباب الخلفي ، فدخلا جميعاً للداخل ولكن
بحذر فوجدوا وهم ينظرون من خلال الباب
الداخلي شيماء ، فهمّ عادل بالذهاب إليها وأن
يسألها لماذا فعلت هذا ، ولكن ممدوح منعه
وقال له:

انتظر حتى نعلم من معها ، وبعد مرور أكثر
من عشر دقائق ولم يظهر سواها فخطّ ممدوح
لهما خطة وهي أن يخرج كل واحدٍ منهم من
ناحية مختلفة ، فيتفرقون ويخرجون من كل
باب ، وبعد سير عادل عدة خطوات تعثر في
شيماء ، فوضع يده على فمها وخرج بها من



الباب الخلفي ، وممدوح وحسام التحما مع من
في القصر فصرعوا الجميع والتقى الثلاثة
بالخارج ، وأخذوها للسيارة وأوثقوها وقبل أن
يغادرون قال لهما عادل:

نريد جمع أدلة من هذا القصر تساعدنا أكثر
على كشف الحقيقة ، فقال ممدوح:

نترك هذه المرأة مع حسام ونذهب للقصر ،
فيذهبان للقصر وفي داخله يجدون بعض
الأوراق والصور التي تدين هذا الرجل صاحب
القصر ومعه بعض رجال الدولة ، فيأخذان هذا
الورق ويمضون ومعهم شيماء والورق ، وبعد
قليل يصلون للمنزل ، وفي الداخل ينادي عادل
على ميرفت فلا يسمع صوتاً وممدوح معه
شيماء يجذبها للداخل وينادي أيضاً على



200

ميرفت ولكن لا مجيب ، وفجأة يصدر الهاتف صوتاً ما ، فيفتح ممدوح هاتفه فيجد رسالة قد كتب فيها:

سلمنا الفتاة والورق وسنسلمك المصونة أختكم ، فغضب ممدوح وضرب شيماء ضربة سقطت من أثرها على الأرض وهي تنزف الدماء من فمها ، فقال لها عادل:

من أنتم؟

ولماذا فعلتم بي هذا ولماذا أنا من بين الناس؟

وأجلسها عادل على المقعد وقال لها:

هيا فليس لدينا الوقت الكافي وإلا قتلتك الآن،

هيا قولي من الذي قتل جاسر ولماذا؟



201

فلم تنطق بشيء سوى بقهقهة مرتفعة ولا
إجابة على سؤال ، فضربها بمدوح على
وجهها ثانية وسألها فلم تجيب فوضع عادل
السكين على النار وبعد احمرارها قربها من
وجهها وقال لها:

إن لم تنطقي فسأحرق وجهك الجميل هذا ،
فتكلمت بكلمات مبهمة وقالت:

أنا لست هي ، أنا في المكان الخطأ ،

فقال لها بمدوح:

هيا تكلمي يا امرأة ، ثم وضع السكين على
ذراعها ، فصرخت وأخذت تبكي ومدوح
يصرخ فيها:



202

هيا تكلمي وإلا أحرقت وجهك المرة القادمة ،

ثم أدنى السكين من وجهها ، فلما رأت منه

الجد والعزم قالت:

ماذا تريدون مني؟

فقال لها عادل:

نريد معرفة مكان ميرفت ومن يكون خلفك

ومن يساعدك ويفعل كل هذا؟

فقالت على الفور:

أما عن مكان ميرفت فلا أعرفه ، وأما عن من

هم معي ومن يساعدني فعلياء هي خلف كل

هذا ، فقال لها عادل:

ومن الرجل الكبير صاحب القصر هل هو

كبيركم؟



فقلت وهي تنظر لممدوح :

لا ، بل هناك من هو أكبر منه ، وهذا الرجل
مجرد ستارة لنا ، فسألها ممدوح وقال لها:
وأين علياء وكيف نجدها وكيف نجد ميرفت؟

فقلت:

إنها تقطن هذا العنوان.....) ؛ وميرفت

ستجدونها هناك على الأرجح

فصرخ فيها ممدوح وقال لها:

إن لم نجدها فستموتين

فقلت:

افعلوا ما تريدون فأنا لا أكذب ، فتركها الجميع

واستعدوا للذهاب وقد أخذوا أسلحتهم وبعض

الرجال الذين يتبعون ممدوح وذهبوا إلى هناك



، وعلم الضابط علاء بما حدث في القصر فقد
كان هناك وسمع اطلاق النار والحركات
الحسيية ليلاً ، فطلب المساعدة من أقرانه
ومن قائده ، وقد أخبرهم بما سمعه وشاهده ،
فأتى المدد له ودخلوا القصر وقد أحضروا
معهم الإذن من النيابة ، وأخذ الضابط علاء
يبحث في القصر هو وقائده عن قتلى أو جرحى
أو رصاصات أو ما يدل على أنه كان منذ دقائق
ضرب نار وجلبة كان قد لاحظها الضابط علاء
، ولكن لا يوجد أي شيء ، فنظر قائده له
وقال:

أين يا حضرة الضابط ما شاهدته وما سمعته؟
وأين القتلى وتلك الجلبة؟



فصمت علاء وتمتم ببعض الكلمات لقائده سراً ،
ولكن القائد نظر لهذا الرجل الذي يدعى
"المنياوي" وقال له:

نحن آسفون على هذا الإزعاج ، فقال لهم
المنياوي في تكبر واستعلاء:

أنا سوف أخبر رؤسائكم بما حدث وسأصعد
الأمر لأعلى مستوى ، فانصرف علاء ومن
معه من قادة وأفراد شرطة ، ولكنه أثناء
خروجه لاحظ وجود آثار رصاص في الجدار ،
ولكنه لم يبالي لعدم وجود أي شيء آخر يدل
على تورطهم في قتل أو مخدرات ، وبعد الذي
حدث أغضب قادتهم وعلى الفور تم نقل علاء
لمحافظة أخرى وتوقيع العقاب المادي لخيري
، ولكن الضابط خيري لم يترك الأمر يمضي



هكذا ، فجلس مع علاء قبل مغادرته القاهرة

فقال له:

إن هذه القضية تصب في اختصاصي ناهيك
عن القتل وما شابه ذلك ولكنها قضية مخدرات
ولن أتركهم وشأنهم وسأرد لك اعتبارك عما
قريب ، فذهب ممدوح وعادل ومن معهما من
حسام ورجال لهذا العنوان ، فوجدوه في مكان
ليس به سوى بعض البنايات التي ما زالت
تحت الإنشاء ولكن منزلها قد أعد للسكن فيه ،
فأعد ممدوح خطته ، وذهب هو ومعه وهم
ثلاثة رجال وبقي عادل ومعه بعض الرجال في
مسافة بينهم وبينه ، وحسام وباقي الرجال قد
ذهبوا من الخلف ، فتقدم ممدوح نحو المنزل
واتصل بهذا الهاتف الذي بعث الرسالة وأخبره



بأنه في طريقه له ، وسأله أين أقبالك ،
فوصف له هذا العنوان ولكن ممدوح باغتهم
في عقر دارهم ودخلوا المنزل عنوة وتسللوا
لهذا المكان الكبير الذي يقف أمامه بعض
الرجال وبعض السيارات ، فأتى ممدوح من
خلفهم وقاموا بضربهم على رؤوسهم فخروا
صرعى ثم فتحوا الباب ودخلوا فوجدوا ميرفت
مكبلة بالقيود ووجهها قد كتم بلاصق على
فمها ، فترك معها أحد الرجال يخلصها مما هي
فيه وقد حضر عادل برجاله ليأمر من معه أن
يأخذوها للخارج ، وفتحوا الغرفة الأخرى فلم
يجدوا شيئاً ، ثم الأخرى فالأخرى حتى صعدوا
للأعلى فوجدوا علياء وقد قتلت والدماء تغرقها
، فأخذ عادل وممدوح يبحثان عن أي شيء



يساعدهما على مكان هذا الرجل ومن يكون فلم
يجدا سوى كاميرات للمراقبة ، فنظرا في
الجهاز لعلهما يجدان شيئا ، فوجدا رجلاً من
رجال الدولة الذين يحتلون المناصب العليا وهو
يمارس الرذيلة مع علياء وأيضاً كان معه
بعض الرجال ممن يعرفهم ممدوح ، فأمر
ممدوح رجاله أن يأخذوا هذه الأجهزة حتى لا
يظهرون لأي أحد آخر ، ونهب الرجال ما في
المكان من مقتنيات ومال ومتاع ثمين ورحلوا
من هذا المنزل ومن هذه المنطقة ، واستقلوا
السيارات وذهبوا لمنزل ممدوح ومضى الرجال
بما أخذوه وبما أعطاهم ممدوح من مال وبقي
حسام بعض الوقت ثم انصرف مودعاً عادلاً
وهو يقول له:



الأمر يا عادل فيه بعض الألغاز وقد بدأت أشك
في أمر ما ستعرفه فيما بعد ، ولكني أوصيك
بتوخي الحذر من أي أحد وسوف أذهب
لأعمالي وسأذهب لأبويك لأطمئن عليهما
وأنظر ماذا يحتاجون ، فقال له عادل:

أنا قد أتعبتك معي يا حسام ولست أدري ماذا
كنت سأصنع من دونك مع أبويّ ، ولكن عليك
أن تبحث عن الضابط علاء وتعطيه هذا الورق
وهذه التسجيلات التي حصلنا عليها من قبل
ولكن توخي الحذر ، فذهب حسام على الفور
وبقى عادل ليذهب لميرفت في غرفتها وقد
أعيها ما لاقت فقبلته وسعدت به وفرح عادل
برجوعها ، ولكنه قال لها:



يا ميرفت إن في هذه القصة أمراً محيراً
ورجلاً خفياً خلف كل هذا ، فقالت له ميرفت:

ماذا تقصد؟

فقال لها عادل:

لا أعرف ، فدخل ممدوح بعدما طرق الباب
فجلس معهما وقال لميرفت:

هيا قولي لي ماذا حدث منذ أن اختطفوك ،
فقالت ميرفت وهي تتنفس الصعداء:

لقد جاء إلى هنا هؤلاء الثلاثة الذين كانوا
بالخارج عند الباب فأخذوني بعدما قيدوني
ووضعوا على فمي تلك اللاصقة وذهبوا بي
إلى هناك وتركوني ومضوا ، ثم جاءت تلك
المرأة فنظرت في وجهي وانصرفت ، ثم



211

سمعت بعدها بساعة بعض الصراخ والأصوات
المرتفعة وبعدها لم أسمع سوى قدومكم أنتم ،
فقال لها عادل:

ماذا ستفعل في هذه المرأة بالخارج في تلك
الغرفة؟

فنظر ممدوح لعادل وقال له:

سنتركها ولكن بعد أن نأخذ منها بعض
المعلومات مع أننا عرفنا من هو خلف كل هذا
، هيا يا عادل نذهب لنراها ونجعلها تتكلم فذهبا
إليها ، ففتحا باب الغرفة ليروها فوجدانها قد
قتلت ، فيلطم عادل جبهته بيده وقال:

من يفعل هذا ومن يتجرأ على فعل ذلك كله؟

فقال له ممدوح:



علينا بترك المنزل الآن وإلا سنموت الليلة هنا ،
هيا قم بإحضار أمتعتك أنت وميرفت واستعدا
لنرحل ، فذهب عادل لميرفت وقال لها:
هيا سنرحل من هنا ، فشيء قد قتلت وحياتنا
في خطر فتجهز الجميع ، وأخذوا أغراضهم
ورحلوا من هذا المنزل ومعهم تلك الجثة
ليواروها في التراب ، فذهبوا لدفن تلك الجثة
وبعدها وصلوا لمنزل يبعد عن هذا المنزل
بعشرة أكيال من الكيلو مترات ، أما حسام
فذهب بسيارته قافلاً لمنزله وعمله ولكنه
تعرض لمطاردة بالسيارة أثناء قفوله وأخذ
يصارع هذا الذي في السيارة الأخرى حتى
انقلبت سيارة هذا الرجل وبعدها ذهب حسام



لعمله واتصل بعادل وقص عليه ما حدث

فاتصل عادل بحسام وقال له:

هيا سلم ما معك من ورق وفيديو لهذا الضابط
وتوخى الحذر لأنك أصبحت محل مراقبة هؤلاء

الأوغاد ، فقال له حسام:

لقد نقل هذا الضابط ، ولكنني كلمته هاتفياً

فقال لي:

اذهب للضابط خيري واعطه هذه الأشياء

وسيعتني بها كأنه أنا بالضبط ، فذهبت

وأعطيته كل هذا ، فقال لي:

إن هذه الأوراق والمستندات ستظهر براءة

صديقك وسنعرف من هو الذي يحرك كل هذا

فقال له عادل:



214

لقد تركنا المنزل وذهبنا لمنزل آخر ، فقال له

حسام:

أين هذا المنزل ولماذا تركتموه؟

فقال له عادل:

لقد فتحنا غرفة شيماء فوجدناها قد قتلت

وذهبنا لهذا العنوان.....) فقال له حسام:

سوف أذهب إليك لو استجد ما هو جديد،

فتناول عادل وممدوح وميرفت الطعام وتركهما

ممدوح وذهب لعمله ومحلته الذي يملكه ،

فدخل عادل وميرفت غرفتهما وقد أنهكهما

التعب ، فاستلقيا على السرير وقد طرحا

ملابسهما لينظر عادل لها وهي مستلقية

بجواره فاقترب منها وهو يضع يده على

شعرها وقال لها:



215

لقد خطفتِ في ليلة عرسك يا أجمل عروس ،

فقال له ميرفت في صوت حنون:

قد شغلت علي أم أنك لم تهتم؟

فقال لها عادل:

لقد انشغلت عليك لكلمة صغيرة بجانب هذا

الإحساس الذي كنت أشعر به ، لقد شعرت

وكان روعي قد خرجت ولم تعد أو أن قلبي

انزع مني

فقال له ميرفت:

وأنت يا عادل لقد افتقدتك وقلت لنفسي:

لقد انتهى الأمر ولقد ضاع كل شيء وانتهت

حياتي ، فأخذها عادل وضمها إليه وقبلها وقال

لها:



216

بل أنا أفديك بروحي وما أملكه يا أجمل ما رأت
عيني وقلبي ، فأخذت تعانقه ويقبلا بعضهما
بحرارة وقضيا مع بعضهما أفضل الأوقات
لساعات ثم ناما ، وذهب ممدوح لعمله ولكنه
ذهب بعده لمكان مجهول وغاب فيه بعض
الوقت ليخرج بحقيبة يحمل فيها المال الكثير ثم
ذهب فوضعها في منزل آخر يملكه وبه بعض
الرجال الذين يقفون على بابه ، فقابل ثلاثة
رجال داخل هذا المنزل وأعطاهم بعض المال
ومضوا ، وظهرت معه امرأة تشبه علياء في
وجهها وهيئتها ، ولكن هناك ما يرتاب لأمره
في تصرفات ممدوح ، فتدخل الضابط خيري
ولكن بطريقته المحنكة ، فذهب لقائده العام
وعرض عليه تلك المستندات والملفات ، فأمره



أن لا يتخذ أي قرار حتى يظهر من هو وراء
ذاك كله وأن يضعوا أيديهم على المخدرات
وليس هذا الذي قد أتى به فقط ، ولكن عادل
أخذ يبحث في هذا الجهاز الذي تعمل من
خلاله الكاميرات فوجد ما لم يكن يتوقعه ، لقد
رأى مكوث ممدوح معهم هناك وممارسته
الجنس مع علياء أيضاً ، فتعجب عادل من هذا
وقال:

لماذا يكون ممدوح هناك وما علاقته بعلياء؟
فلم يخبر عادل زوجته ميرفت وأخذ يشاهد
معظم ما سجلته الكاميرات فوجد المنياوي
وجاسر وكل من قتلوا أو قابلهم ممدوح مع
بعض ، فوضع عادل كل شيء مكانه ، وقرر
أن يتحرك بمفرده لشكه في ممدوح ولا سيما



بعدها أخذ يسترجع ما حدث في ذاكرته فوجد
علم ممدوح بمكانه ثم معرفته مكان رشيد
وقتله في منزله وهو في العمل وبعدها يعرف
مكان شيماء ثم قتلها ومعرفة مكان ميرفت
عندما خطفت وكذلك علاقته بجاسر وهؤلاء ،
فبدأ عادل يخرج بمفرده بحجة قضاء بعض
الأشياء من الخارج ، فأخذ يترنح في الطرقات
ليفكر ماذا يصنع ومن أين يبدأ ، فاتصل بحسام
وقص عليه شكوكه وظنه واستدعاه للحضور
حتى يتحركا ليثبتا براءة عادل ، فمضت
الساعات تباعاً فيتغير الكون ويتلون من لون
لآخر حتى وجوه البشر تتشكل كالحرباء بألف
لون ولون ، ولقد استطاع الإنسان بمكره
ودهائه وحيله بتطويع السباع والهوام لتسليته



ومتعته ، بل لقد بلغ به الدهاء لصيد الحيتان
الكبيرة في البحار والمحيطات ، فقد يكون الفأر
يوماً ما صديق الهِرُّ واللبؤة ترضع القرد ،
ولكن لا أمان لإنسان مع وجود المال والثروات
، فبهذه الأشياء الفانية يتحول ابن آدم لحوت
كبير يبتلع ما دونه من بشر ويصبح من
حيوانات الغابة الشرسة يأكل ما يجد ممن هم
أصغر منه وينهش لحم كل ضعيف ، بل قد
ترى من الأفاعي الماكرة من ترحم النائم
وتتجنب من لم يضرها ويؤذيها ، فأحلام
الحيوانات معدومة لو قورنت بأحلام البشر
ولكن قلوبهم أكبر بكثير من قلوب بني آدم ،
فإنك تجد الطفل يلعب مع الجرو الصغير فلا
يعضه ولا يجرحه بمخالبه ويصبر ويتحمل



ويداعبه بلطف ورفق ، أما الطفل لو داعب أمه
 وخذشها بأظافره فسرعان ما تضربه وتجعله
 يبكي ويزرف الدمع وربما خدشته بنفس
 الكيفية التي خدشها بها ، فقد يقتل الإنسان
 أباه وأمه وأخاه وعمه وبنيه وهذا منتهى
 الوحشية ، وقد نظلم الحيوان بقولنا عنه
 مفترساً ، فلن تجد منهم من يقتل جنسه أو
 رضيعه أو يفعل بذريته وبنى جنسه ما يفعل
 البشر ، فتتلاقى أسراب النمل على جثة نملة قد
 قتلت فيحملونها ولا يتركونها مهملة في
 الطرقات لا تجد من يأخذها ويواري جسدها ،
 فالجدار المطلي لا يختبئ به صغار النمل فضلاً
 عن الهوام ، وتموت كل ذكرى خبيثة خلفت
 وراءها بعض الأمراض ، حتى تعلم من تكون



فعليك بوضع دلوٍ به الماء على الطريق ثم
انظر إليه بعد بضع ساعات ، فإما أن تجده قد
فرغ مما يحويه من ماء أو تجده قد سرق
بمائه ، كذلك أنت لو بقيت في طريق الناس
فإما أن تكون في خدمتهم وعونهم وإما
ستكون حجر عثرة أمامهم وتعوقهم وتعرقل
طريقهم ، فجل الناس على هذا الشكل ،
والصنف الثالث لا يقف أبداً على الطريق ، فلا
يعرقل ولا يساعد فهو إِمعةٌ يسير خلف الناس
ويقف على ما وقف عليه الناس ، وبعض
البشر يعيشون كالعدم لا نبض لهم ولا حس ولا
شعور لديهم ، عاشوا وماتوا من أجل لقمة
يتناولونها أو شربة ماء يشربونها ، فلن ترى
الخير في معقل الأشرار ولن ترى الحب داخل



قفص الفئران ، فالحررة تموت جوعاً ولا تأكل
بثدييها ، كلام امرأة عربية حرة ، أما تلك
النسوة اللاتي يبغضن العفاف ويعشقن الخنا
والزنا وتعرية صدورهن وأفخاذهن ليظهرن
للذباب في أبهى صورة وردية ليجتمع على ذلك
الجسد الذي تتكاثر عليه الميكروبات لعدم
حفظها في درجة حرارة مناسبة له ، فكل من
على الأرض يبحثون عن المجد والعرش
والرفعة والجاه والسلطان وتركية الذات
والعيش الطيب وتوفر كل ما لذ وطاب في
الحياة ، وهذا دأب كل كائن حتى الحشرات
والهوام والحيوانات ، فلا تعجب من رجل لا
ينام من كثرة انشغاله بما يخطط له أو يسعى
إليه ، فالله سبحانه وتعالى جَبَلَ كل الخلق على



حب الحياة والكفاح من أجل الحياة والصراع
من أجل البقاء وطلب الرفعة والسؤدد منزلة
يحلم بها كل إنسان حتى الأنبياء كان مطلبهم
في الحياة أن يكون سواد الناس كلها تبعاً لهم
وتحت رايتهم ويؤمنون بهم والوصول لكل
الناس حتى يشهدون بالوحدانية لله سبحانه
وتعالى ولهذا النبي بالرسالة ، فالله ذاته يحب
الكبرياء جعل ملكه أكبر ملك وأعظم شأناً
ورفعة ، ولكن على الإنسان أن لا ينزل لدرجة
البهائم ولا لمستوى الحشرات ولا لحظيرة
الطيور ، حتى لا يعيش بطبع الحيوان ويموت
على جسد يشبه جسد الخنزير العفن من كثرة
أكل القمامة والقذارة وروث الأنعام.



-قابل عادل صديقه حسام وذهبا لذلك المكان
الأخير الذي كانت مخطوفة فيه ميرفت وبعد
قليل وصلا إلى هناك ،فوقفا على بعد من
المنزل يراقبانه ، وبعد ساعة دخل المنزل
ممدوح ومعه تلك المرأة ، وبعدها أتى هذا
الرجل صاحب القصر وظلوا في الداخل لساعة
ثم خرجوا واستقلوا السيارات ومضو ، ولكن
عادل قال لحسام:

هيا اذهب خلفهم ولكن بحذر ، فسار حسام
خلفهم حتى وصلوا للمنزل الذي كان يقطنه
عادل وميرفت وممدوح بالأمس القريب ،
فتعجب حسام وعادل وقال عادل:



225

لهذا السبب جعلنا نترك هذا المنزل ونرحل ،
ولكن ماذا نفعل مع تلك الشبكة الكبيرة ومع

ممدوح خاصة؟

فقال له حسام:

لا بد من أن نركز على ممدوح فهو خلف الذي

حدث كله ؛ فقال له عادل:

كيف ذلك؟

وماذا أفعل مع ميرفت؟

فقال له حسام:

لا تجعلها تشعر بأي شيء حتى تثبت لها أن
ممدوح خلف قتل جاسر وخطفها وخلف كل

الذي يحدث ، فقال له عادل:

الأول نثبت أنه من قتل جاسر ولكن كيف؟



قال له حسام:

بممدوح نفسه ، فقال له عادل:

إذن علينا بإحضار ممدوح ويكون معنا ما
نسجل عليه صوته وصورته وهو يعترف
ويقول كل الذي نريد معرفته ، فقال له حسام:

معنا الهاتف وسنستخدمه في ذلك ، ثم شرع

عادل واتصل بممدوح ، وقال له:

إني أحتاجك لكي ترى شيئاً، فأجابه ممدوح

وقال له:

أي شيء هذا؟

وأين المكان؟

فقال له عادل:

في المكان الذي كنت به قبل أن أراك



فقال له ممدوح:

سأكون عندك حالاً ،

فذهب حسام وعادل للمكان الذي كان فيه عادل
من قبل ، فما زال على ذمتها فقد استأجره
حسام لمدة ستة أشهر ، ووصلا إلى هناك بعد
عدة دقائق ، وأخذا ينتظران ممدوح وهما
يراقبان وصوله حتى وصل ، وقبل أن يصعد
لأعلى علق حسام الهاتف في مكان مرتفع في
الجدار وجعله يسجل فيديو فقرع جرس الباب
ممدوح وفتح له حسام ليدخل ثم أغلق حسام
الباب من الداخل ، فسأله ممدوح لما أغلقت

الباب هكذا؟

فقال له حسام:



228

حتى لا يداهمنا أي أحد من هؤلاء الناس القذرة

، فقام عادل وضرب ممدوح بقبضة يده في

وجهه فوق على الأرض وقبل أن ينهض

أخرج عادل وحسام مسدسيهما ووضعاه على

رأسه وقال له عادل:

لماذا فعلت هذا كله؟

ولماذا قتلت جاسر؟

فقام ممدوح والدماء تسيل من أنفه وقال:

أنا لا أعرف عن ماذا تتحدث فضربه عادل

بمؤخرة المسدس على مقدمة رأسه وأخذ

مسدسه منه وقال له:

لو لم تقل كل شيء فسأقتلك الآن ، هيا قل كل

شيء ، هيا أوثقه يا حسام ، فأخذ حسام يوثقه



من قدميه ومن يديه وهو لا يتكلم ، فجهز
عادل مسدسه على الإطلاق وقال له:
هيا قل كل شيء وإلا قتلتك ، فقال له ممدوح:
أتفعل ذلك في شقيق زوجتك وحبيبتك ومن
دافع عنك ووقف معك؟

أتفعل ذلك فيمن فعل معك ذلك كله ليأتي
ببراءتك ، فقال له عادل في صوت أجش:
أي براءة تتكلم عنها ، إن معنا هنا ما يدل على
أنك شريك هؤلاء في كل شيء ، هيا يا حسام
أطلعنا على ما نقلناه من ذلك الجهاز الذي كان
مع الكاميرات ، فأدار حسام هاتف عادل
ليشاهد ممدوح تلك الأفلام التي يظهر فيها مع
علياء ، بعدما أوهموهم أنها قتلت وأيضاً
هؤلاء الناس الذين كانوا في القصر وما



230

شاهدناه في المنزل الذي أمرتنا بتركه ، فنظر
ممدوح لتلك الفيديوهات وبعدها انتهى من ذلك
كله سأله عادل:

من هؤلاء؟

ولماذا قتلت جاسر وأصقت التهمة بي؟
ممدوح يحاول التهرب من السؤال ولكن عادل
أطلق عليه رصاصة في قدمه ، وقال له:
هيا تكلم وإلا ستكون الرصاصة الثانية في
رأسك ، فأنا في كلتا الحالتين مصيري السجن
إلا إذا قلت من قتل جاسر ومن خلفك وخلف كل
الذي يحدث ، سألت الدماء من قدم ممدوح
وتعالت صيحاته فقال:



سأقول لك كل شيء ولكن وصيتك ميرفت ،
فهي ليس لها صلة بشيء سوى أن جاسر
طعنني في ظهري وهتك عرضها من ورائي
ولم يبادر بزواجها وعذبها معه فلهذا السبب
قتلته وأنا لست نادماً على ذلك وأما دخولك
أنت في اللعبة ، فأيضاً من تدبيري ، فقد
وضعنا هذا الإعلان واخترناك أنت خاصة لنفعل
معك ذلك وقد أتيت وجعلناك تشاهد الفيديو
المصطنع ووضعنا جاسر على أنه يبتز علياء
وشيماء ، ثم وضعنا لك جهاز جي بي أس
لنتعقبك ونعلم مكانك وحركاتك إلى الآن ، ثم
أخذنا طلقة من المسدس ووضعناها في مسدس
آخر ، وتم قتل جاسر من مكان قريب من خلال
الشقة وأطلقنا تلك الرصاصة من نفس نوع



هذا الرصاص ، ثم وضعنا المسدس لك الذي
أطلقنا منه الطلقة بدلاً من الذي معك لنثبت أن
مسدسك هو الذي أطلق منه الرصاصة ، وقد
استخدمنا القصر والشقة بعلم ممن يملكون
القصر والشقة ، وأما شيماء وعلياء من فتيات
الليل الذين يعملون معي في هذا الملهى الليلي
، فقال له عادل:

ولماذا قتلت شيماء وهذا الرجل الذي ذبح

وغيره؟

فقال له ممدوح:

أما عن أبو جبل فقد كان هو من نفذ عملية قتل
جاسر وكنت لا أريد أن أترك خلفي من يهددني
أو يمسك علي ذلة ، وأما عن شيماء فقد كانت
ضعيفة وخائنة وكانت تتلفظ بكلمات لا أحبها



233

وكانت تحب جاسر ، فلذلك تخلصت منها ،

فقال له عادل:

ومن هؤلاء الذين تسير معهم وتأخذ منهم

المال وتفعل معهم تلك الأشياء؟

فقال له ممدوح:

أما هؤلاء فتجار للمخدرات وهم من أنتفع من

العمل معهم

فابتسم عادل وقال له:

سنترك ونرحل وسنبعث لك من ينقذك

ويسعفك الآن وهذا لأجل النسب الذي بيننا ،

وسوف نربط على جرحك حتى لا تتزف

وتموت ، ثم أخذ حسام هاتفه وربط له جرحه

ووضع على فمه اللاصقة حتى لا يتكلم ، ثم



مضيا وذهبا لميرفت ، فقابلتهما ميرفت
ووجهها قد شحب ، فقالت لهما أين كنتما؟

فقال لها عادل هو يبتسم:

سنقص عليك كل شيء ولك أن تحكي أنت
على ما حدث ، فأدارا لها الهاتف وما به من
فيديوهات ، فشاهدته ، وبينما هي تشاهد كان
قد تعقب حسام ضباط الشرطة وقد نصبوا
أجهزة للتنصت في شقته التي كانا فيها من
ساعة وسمعوا كل شيء ، وجاءوا فأخذوا
ممدوح قبل أن يموت من نزيفه هذا ، وأخذت
تسمع ميرفت تلك الفيديوهات وهي متجهة
الوجه وكأنها مصدومة ، ثم فرغت من كل تلك
المشاهدة فقالت:

أخي ممدوح يفعل كل هذا؟



أنا لا أصدق ، وأين هو الآن؟

فقال لها حسام:

تركناه للشرطة فهي تتعقبه وقد رتبنا معهم ما
حدث ليقبضوا عليه ، وأخذ عادل يسترجع
ذاكرته قبل أن يأخذا ممدوح لهذه الشقة ،
عندما تقابلا مع الضابط خيري ورتبا معه كيف
يضعون أجهزة التنصت وكيف يستخرجون
منه الكلام ، فقالت ميرفت:

هو في ذمة الله ليأخذ جزاؤه على ما قدم
وصنع ، وذهب ضباط الشرطة لمكان هؤلاء
الأوغاد ليضبطوهم وهم في وضع تلبث
بالمخدرات التي دلهم عليها ممدوح ، فقبضوا
على كل الأوغاد بما فيهم علياء والمنياوي
وآخرين ممن يحمونهم ويختبئون خلفهم وذلك



بالأدلة والقرائن الكثيرة التي تدينهم بلا مفر ،
 وذهب عادل لقسم الشرطة ليكمل محضر
 الشرطة ويملي كل ما شاهده وسمعه وقدمه
 من مستندات وغيره ، ليأخذ براءته وتعود له
 سمعته ويسترد شرفه وكرامته مرة أخرى ،
 ويعيش مع ميرفت ووالديه في منزل آخر
 كبير ، ويُسرّاً والداهُ سروراً بليغاً لبراءته ولما
 وصل إليه من زواج ومنزل ووضع مختلف ،
 لتكون دعوة أمه وأبيه له أكبر سند بعد الله
 سبحانه وتعالى وهذا لما أخذته ميرفت من
 وراء ممدوح بعد شنقه ، فقد ترك المال الكثير
 والعقارات الكثيرة ، وشارك عادل صديقه
 حسام فرحته وما هو فيه وشاركه على
 مشروع بينهما لتدوم صداقتهما فنعم الصديق



من لا يتخلى عن صديقه وقت الضيق ولا
يفشي سره حتى لأقرب الناس إليه ، فمثل
هؤلاء أصبحوا قلة في هذا الزمن لندرة
الأصدقاء واختفاء الوفاء ومعنى الصحبة
وواجبات الصحبة من احترام وتقدير وتفاني
واخلاص وإيثار وكل ما تكنه لأخيك وابنك
تفعله لصديقك ، ومع قلة ذلك في هذا الزمن
فقد يشتري الصديق الغير صديق بالمال ويبيعه
من أجل لعاعة لا قيمة لها ، فتجد الخيانة
والغدر والكيد والمكر وحب الذات على أي
حب .

وعاش عادل مع ميرفت بحب وتضحية
ونسيان الماضي وفتح صفحة جديدة ليس فيها
مثل هذا الأخ ولا مثل خطيبها الذي تركها ولم



يكن على قدر من الجدية والولاء والحب ،
لتعيش مع شخص مثل عادل يعرف معنى
احترام المرأة وإعطائها قدرها ومكانتها
ووضعها في المكان الصحيح والتجاوز عما
كان منها في الماضي بكل صورته وعدم المن
عليها بما يضايقها أو معايرتها بما فعلته مع
جاسر ، ولكن مثل عادل لا يفعل ذلك لمتانة
معدنه وصلابة أصله ولطيب طبعه فمثل هذا
الرجل تختاره الفتاة لها ولأولادها ولبناتها من
بعدها.

النهاية

سيد أحمد أمين

في يوم 2019/5/30



